

العدد الثالث

غرّة رمضان/ 1424هـ

الوحدة الحقيقية للأمة.

1- اليزيدية.
2- الإمام الرضا.
3- الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية.
4- قالوا.
5- من الذي قتل الحكيم.
6- ملاحظات على نقاط ضعف السياسة الخارجية الإيرانية في عهد خاتمي.
7- الانتفاضة الطلابية في إيران.
8- المرجعية الشيعية في إيران والعراق.

9- خميني جديد: الحفيد مثل الجد.
10- نقد آراء أبطحي حول ولاية الفقيه.
11- الطفيلي: ورثة الخميني يقفون إلى جانب سارقي المال العام.
12- التجمعات الشيعية في العالم العربي – البحرين.

الوحدة الحقيقية للأمة

النــاظر في أحــوال المســلمين اليــوم يتفطر قلبه لما يشــاهده من مظاهر الضعف والهوان, والهزائم المتكررة التي تحيق بالأمة الإسلامية.

ويكــاد يجمع كل المخلصـــين لهــذا الــدين العظيم على أن الفرقة والتشتت والانتقام هو سبب رئيسي لما يعانيه المسـلمون, ومن هنا أصـبح معالجة هذه الفرقة وتقريب الأمة من بعضـها البعض علاجـاً هامـاً ودواءً لا غنى للأمة عنه, وكذلك فإنّ محاربة كل ما يـؤدي إلى الفرقة هو عمل هـام يصب في مصلحة الإسلام والمسلمين.

ولأجل هذا فنحن نشجع كل المحـاولات الجـادة لجمع الأمة على كلمة التوحيــد, كي تتوحد كلمتها وتعلو رايتهــا, لكن ما يــدمي القلب أن تقلب الحقـائق فيصبح السـاعون بكل قـوتهم إلى فرقة المسـلمين هم أصـحاب الصــوت العــالي في الــدعوة إلى الوحــدة والتقــريب ويكــون العــاملون المخلصـون للوحـدة هم الموصـوفون بالفرقة والخلاف, وهـذا من عجـائب الزمان.

ولنضرب أمثلة عملية على ما نقول:

1-إيران صاحبة الدعوة إلى التقريب بين المـذاهب السـنية والشـيعية والتي أنشأت مجمعـاً كبـيراً لـذلك, ولا تـزال تصـدر الكتب والمجلات لهـذا الغرض وتحث المؤسسـات الإسـلامية العالمية على السـعي معها في هـذا المجال لفتح القنوات من أجل النفوذ الشـيعي في البلاد السـنية والسـماح بوصـول الكتب والمطبوعـات الشـيعية للأسـواق, وفتح المجـال للسـياحة الدينية وغير ذلك من المطالب.

وقد تكــون هــذه المطــالب عادية في نظر الكثــيرين وهي قد تكــون كـذلك, لكن لننظر إلى الموضــوع من زاوية أخـرى وهي: هل إيـران تمثل النموذج في الوحدة والتقارب مع السنة من أبنائها أولاً ومع غيرهم ثانياً؟؟

فــأين هو الــدور الســني في إيــران مع أنهم يبلغــون قريبــاً من ثلث السكان؟

وهل يسمح للبلاد والمؤسسات السنية بالدعوة وتوزيع الكتب الســنية ومناقشة الأفكار والمفاهيم الشيعية في إيران؟

وهل يسمح للسنة ببناء المساجد والمراكز الخاصة بهم؟

وهل يراعي الشيعة في إيران عقائد وحرمات أهل السنة؟

لماذا لا تكون إيران نموذجـاً يحتـذى في الانفتـاح والتقـريب, فتـدرس العلوم السنية في جامعاتها على يد السنة من العالم السني؟!

ولمــاذا لا تفسح إيــران المجــال لعلمــاء الســنة بمخاطبة جمهورها الشيعي عبر القنوات الإعلامية الرسمية؟

نعم نريد من إيران أن تكون القــدوة للآخـرين في الوحـدة والتقـريب والتفاهم حتى تكون أول من يسن سنة حسنة وهي الوحدة والتقارب!!

2-شيعة الخليج

لا تـزال تتصـاعد أصـوات الشـيعة في الخليج بالمطالبة بالسـماح لهم بالمشاركة في المؤسسـات العامة وعـدم مهاجمة عقائـدهم وشخصـياتهم والسـماح لهم بطبع كتبهم وغيرها من أجل ترسـيخ الوحـدة والتقـارب مع السنة.

ولكن غيّر الشـــيعة في الخليج من مـــوقفهم تجـــاه عقائد الســـنة وشخصياتهم, ألم تشتد الهجمة هذه الأيام على عقائد السنة وشخصياتهم.

لماذا لا يجوز للسني أن يقول عقيدته وفكره تجـاه الشـيعة ويعد هـذا ضـرباً للوحـدة أما الشـيعي فله أن يهـاجم الصـحابة والخلفـاء والعلمـاء والحكام والقرآن ثم هو مظلوم يسعى للوحدة!؟!

لماذا يحق لهم المطالبة بطبع كتبهم ولا يحق للسنة ذلك؟

ولماذا لهم الحق في عدم مراعاة الأغلبية السنية في البلاد؟؟!

3-المواقف الشيعية من قضايا الأمة:

إن أهم وصف لوحـدة المسـلمين هو قوله صـلى الله عليه وسـلم: (المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سـائر الأعضـاء بالسهر والحمى).

فأين هي المواقف الشيعية من قضايا الأمة؟ في أفغانستان والعـراق وغيرها؟

أين الوقوف مع مصالح الأمة تجاه أعدائها؟

لمـاذا هـذا الاصـطفاف مع الأعـداء رغم "جبـال" الخطب والمقـالات المليئة بالسب والشـتم للأعـداء؟ أم أن هـذه الحقيقة بعد أن جـاء الصـيف وذاب الثلج!

وفي الختام لا بد من العمل لوحـدة الأمة على كلمة التوحيد بالأفعـال والأعمال الصادقة وليس بالشعارات الفارغة.

الراصد

فرق

اليزيدية

ظهرت في السنوات القليلة الماضية في عدد من الدول الإسلامية كالمغرب ولبنان والأردن ومصر طوائف من " عبدة الشيطان " معظمهم من الشباب المنحرف الذين يعتقدون بمباديء وأفكار غريبة ويقدسون الشيطان ويلبسون ملابس غريبة, وحاول البعض أن يربط بين أفكار هؤلاء الشباب مع الطائفة أو الديانة اليزيدية التي تنتشر منذ زمن طويل في عدد من البلدان كالعراق وسوريا, خاصة أنهم يشتركون في تقديس الشيطان, وهو أصل من الأصول العقائدية والفكرية للجماعتين.

الديانة أو الطائفة اليزيدية من الطوائف المنتشرة في كردستان العراق وإيران وتركيا وسوريا وجمهوريات الإتحاد السوفييتي السابق مثل أرمينيا وجورجيا وأتباعهم من الأكراد المنتشرين في هذه الدول.

وفي البداية كانت اليزيدية طريقة صوفية تعرف بالطريقة العدويّة, وكانت طريقة مستقيمة وسليمة من الإنحرافات في عهد مؤسسها الشيخ عديّ بن مسافر الأموي (467-557هـ) والذي قدم من قرية يقال لها بيت فار من أعمال بعلبك في لبنان. وكان الشيخ عدي بن مسافر على منهج أهل السنة, وعندما مات خلفه إبن أخيه واسمه صخر بن صخر بن مسافر ويكنّى بأبي البركات, وكان محباً لأهل الدين شديد التواضع حسن الأخلاق, وبعد موته خلفه ابنه عدي (عدي الثاني) وكان على شاكلة أبيه صخر وعم أبيه (الشيخ عدي الأول).

ويمكن القول أن الطريقة العدوية سارت على منهج سليم طوال فترة تولّي هؤلاء الثلاثة مشيخة الطريقة.

ولكن بعد وفاة الشيخ عدي والشيخ صخر والشيخ عدي الثاني بفترة تولّى مشيخة الطريقة الشيخ حسن وهو ابن عدي الثاني, وفي عهده تحولت الطريقة إلى حزب سياسي معارض للحكم العباسي, وقد حاول بسط نفوذه على المنطقة ولكن تم القضاء عليه وعلى أنصاره من قبل صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ, فالشيخ عدي بن مسافر كما هو معروف من الأمويين, وينتهي نسبه إلى مروان آخر الخلفاء الأمويين.

ولما رأى حسن هذا كثرة الأتباع حوله, والذين كانوا دوماً رهن إشارته, ألقى هالة من القداسة حول نفسه, وانعزل عن أتباعه ست سنوات زاعماً أنه سوف يأتي بشيء جديد للملّة, فجاء لهم بكتاب " الجلوة لأهل الخلوة " وأحاط أفكاره بسياج من السريّة والكتمان, كما أمرهم بالإبتعاد عن التعلّم والقراءة والكتابة, كي يسهل انقيادهم له والتحكم في مصائرهم, وبدأت العدوية أو اليزيدية بالإنحراف شيئاً فشيئاً, ومن الذين أثروا على الشيخ حسن وغيروا أفكاره وعقيدته ابن عربي (550-638هـ) أثناء تردد الشيخ حسن إلى الموصل حيث كان يقيم ابن عربي.

الراصد

إذاً فاليزيدية في البدء كانت طريقة صوفية, ثم تحولت إلي حركة سياسية, وأخيراً أصبحت ديانة مستقلة عن الإسلام, حيث يظنون أن يزيد دخل في دينهم.

سبب التسمية:

وردت في سبب تسميتهم باليزيديين أقوال عديدة أهمها:

1-نسبة إلى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية, حيث يظنون أنه دخل في دينهم, وهذا يعني أنهم كانوا مسلمين في يوم من الأيام, إلا أنهم ابتعدوا عن الإسلام شيئاً فشيئاً إلى أن صاروا طائفة مستقلة عن الإسلام.

2-نسبة إلى يزيد بن أنيسة الخارجي, كما ورد في " الملل والنحل " للشهرستاني حيث أن هناك فرقاً عديدة سميت باليزيدية مثل أتباع يزيد الجعفي, ويزيد بن أنيسة الخارجي وغيرهما, وقد خلط البعض بين هذه الفرق وبين اليزيدية التي تقدس الشيطان والتي نحن بصد الحديث عنها.

3-نسبة إلى مدينة (يزد) الإيرانية, حيث يعتقد البعض بظهور اليزيدية للمرة الأولى في تلك المدينة.

4-نسبة إلى كلمة (يزدان) أو (إيزدان) التي تعني " الله " في اللغة الكردية, وأن هذه الديانة كانت موجودة قبل مجيء الإسلام واليهودية والمسيحية, وأنها تتبع نبي الله إبراهيم وإسماعيل.

5-هناك من يربط بين اليزيدية والمثرائية, تلك الديانة القديمة التي انتشرت في مناطق من إيران قبل ميلاد المسيح بفترة من الزمن, حيث أنهم قد وجدوا طقوساً مشتركة بينهما.

والراجح في الأدلة أن اليزيديين ينتسبون إلى يزيد بن معاوية, حيث كان عدي بن مسافر يرى أن يزيد من أئمة الهدى والصلاح, وغرس هذا المفهوم في نفوس أصحابه, وقد أدّى ذلك إلى محبة هذه الطائفة ليزيد, وكان الغلو والإطراء يزداد يوماً بعد يوم إلى أن وصل ببعضهم إلى ما يشبه تأليه يزيد.

أماكن إنتشارهم وأعدادهم:

حيث أن اليزيديين من الأكراد, فهم بالتالي موزّعون على ست دول هي العراق, سوريا, إيران, تركيا, أرمينيا, وجورجيا بالإضافة إلى هجرة الكثير منهم إلى الدول الأوروبية وغيرها.

وتعيش الغالبية العظمى من اليزيديين في كردستان العراق في منطقتي الشيخان وسنجار التابعتين إدارياً لمحافظة نينوى (الموصل).

وقد نشأت هذه الطائفة في أول أمرها في منطقة الشيخان ومنها انتشرت في باقي المناطق.

وبالرغم من عدم وجود إحصائيات دقيقة لليزيديين لأسباب عديدة, فإن التخمينات تجعل أعدادهم كما يلي: في العراق 40 ألف نسمة, في سوريا 25 ألفاً, في تركيا 50 ألفاً, في أرمينيا 55 ألفاً, في جورجيا 45-50 ألفاً, وبذلك فإن عددهم في العالم يتجاوز 200 ألف يزيدي.

الراصد

أصول الإعتقاد لدى اليزيدية:

يدّعي اليزيديون أنهم على التوحيد الخالص وبأنهم يتبعون أبا الأنبياء إبراهيم ويفتخرون بذلك, إلا أن لهم معتقدات تخالف التوحيد كاعتقادهم بآلهة موكل إليها شأن من شؤون الدنيا, ومن ذلك (بري أفات) وهو إله الفيضانات والطوفان و (خاتونا فخران) وهي إلهة الولادة عند النساء... الخ, وكاعتقادهم بوجود أنصاف آلهة مثل (مم شفان) وهو إله الغنم و (العبد الأسود) إله الآبار, و (ميكائيل) إله الشمس... الخ.

وفيما يتعلق بالشيطان الذي ارتبطت به الديانة اليزيدية, فإنهم يقدسونه ويحترمونه ويحلفون به, ويعتبرونه رمزاً للتوحيد بزعمهم لرفضه السجود لآدم عليه السلام, ويسمون الشيطان (طاووس ملك) أي طاووس الملائكة.

ولليزيدية سبعة طواويس لكل منها اسمه الخاص, وقد صنعوا لكل طاووس تمثالاً خاصاً, وسبب ذلك هو عدم كفاية طاووس واحد لجميع اليزيدية لأنهم منتشرون في أقاليم متباعدة جداً.

ويعتقدون أن أصل الملائكة من نور الله سبحانه, وأنهم قد شاركوا الله في خلق الكون, وأما الكتب المقدسة لديهم فهناك " مصحف رش " وينسبونه إلى الشيخ عدي بن مسافر ويتحدث عن بداية خلق الكون ومراحل تكوينه وخلق آدم, وامتناع عزازيل (الشيطان) عن السجود لآدم, كما أنه يحتوي على بعض الأوامر والنواهي وذكر بعض المحرمات.

والكتاب الآخر هو " الجلوة لأصحاب الخلوة " وينسبونه إلى الشيخ حسن, ويعتقد اليزيديون أن الله خاطبهم فيه, ويتكلم عن قدم الله تعالى وبقائه والوعيد لمن يقاوم الله سبحانه, ويوجد كذلك بعض الوصايا الخاصة للطائفة اليزيدية.

أما موقفهم من كتب الأديان الثلاثة, فإنهم يؤمنون بها ويقدسونها ويقرأونها ولكنهم يتجنبون التلفظ بالكلمات التي تأباها عقيدتهم مثل: شيطان, التعوذ, إبليس اللعنة...., وتقدس اليزيدية سوراً وآيات خاصة من القرآن الكريم ويولونها اهتماماً مثل يس والفاتحة والإخلاص وأية الكرسي....

واليزيدية وبالرغم من تقديسهم للكتب السماوية, إلا أنهم يعتقدون أن أصحاب هذه الكتب قد حرّفوها وغيّروا فيها أشياء كثيرة, وبعضهم يعتقد أن القرآن الكريم هو من صنع محمد صلى الله عليه وسلم, وأن أحد القساوسة قد كتبه له في بلاد الحجاز !.

ويؤمن اليزيديون بالأنبياء ويدّعون الإنتساب إلى شريعة إبراهيم وأنهم يسيرون على نهجه, ولا يعتقدون أن الله أرسل إليهم رسولاً خاصاً بهم.

وفيما يتعلق باليوم الآخر, فإنهم يؤمنون ببقاء الروح وأنها لا تفنى, بل الذي يفنى هو الجسد فقط, ولا يؤمنون بحصول البعث وإعادة إحياء الجسد.

الراصد

وحيث أن اليزيدية كانت في البدء طريقة صوفية, فإن العديد من عقائد الصوفية المنحرفة ما زالت باقية عندهم كعقيدة الحلول, ويعتقدون أن روح الله قد حلّت في خواصهم وصالحيهم, كما أنهم يقدسون أقطاب التصوف, ولا سيما الذين دافعوا عن إبليس, مثل الحلاج وابن عربي والبسطامي.

عبادتهم:

لليزيدية عبادات عديدة بعضها يَومِي وبعضها موسمي, كما أن بعضها يتشابه مع عبادات المسلمين, وليس لهم مكان خاص للعبادة, بل يجوز عندهم التعبد في كل مكان, إذ أنهم يعتقدون أن الله موجود في كل مكان, وعندهم الوضوء والصلاة والأدعية, ويتجهون في صلاتهم إلى الشمس إلا في صلاة الظهر فإنهم يتجهون إلى وادي لالش المقدس عندهم والذي يضم قبر عدي بن مسافر.

وعندهم الصدقات التي يدفعها الغني والفقير على حد سواء, وتعطى للشيخ, ولديهم ثلاثة أنواع من الصوم, أهمها (صوم يزيد) وهو ثلاثة أيام, ويبدأ من يوم الثلاثاء الأول من شهر كانون الأول (ديسمبر) حسب التقويم الشرقي, ويستمر يومي الأربعاء والخميس أيضاً, ويكون يوم الجمعة يوم عيد, وإضافة إلى صوم يزيد, لديهم صوم خضر إلياس ويستغرق ثلاثة أيام وصوم الأربعينية أو الجلخانة, وهو شاق طويل, ويصومه الخاصة.

ويحجون الآن إلى مرقد الشيخ عدي بن مسافر في وادي لالش في كردستان العراق, ويطوفون بقبره 7 مرات, واتخذ يزيديو كل منطقة فترة معينة لأداء الحج فيه.

ولليزيدية عدد كبير من الأعياد, أخذوا اثنين منها عن المسلمين, وأخذوا أعياداً أخرى من بعض الأديان والطوائف الأخرى, وبعضها من أبتكارهم هم أنفسهم, ومنها عيد رأس السنة الشرقية وعيد صوم يزيد وعيد الجماعية وعيد المربعانية, والقربان وخضر إلياس.

مجتمع اليزيديين:

مجتمع اليزيديين مبني على النظام الطبقي, ويتكون من طبقتين سياسية ودينية.

أولاً: الطبقة السياسية:

وتتمثل في " **الأمير** " وهو صاحب أعلى سلطة في الطائفة, و " **البسمير** " وهم أبناء عمومة الأمير, ثم " **العوام** " وهم من سواد الشعب, ويقع عليهم تنفيذ ما يُملى عليهم من أوامر وواجبات من قبل الأمير وحاشيته.

والأمير الحالي لليزيدية هو الأمير تحسين بك ابن سعيد بك ابن علي بك.

ثانياً: الطبقة الدينية:

الراصد

وعلى رأسـها " **البابا شـيخ** " ومنها **الشـيخ** و**البـير** و**القـوّال** و**الفقير** و**الكوجك** و**المريد**.

من مؤسساتهم:

أنشأ اليزيديون في عدد من البلدان عدة مؤسسات ثقافية واجتماعية منها:

1-مركز لالش الثقافي الاجتماعي في مدينة دهوك (العـراق) وتأسس سنة 1993 م.

2-المكتب الأموي للدعوة العربية في شارع الرشيد في بغداد.

3-المركز الديني لليزيدية الزرادشـتية في بـون (ألمانيـا), وقد تأسس بعد الهجرة المتزايدة لليزيديين إلى أوروبا وخاصة من تركيا.

للإستزادة:

1-اليزيدية من خلال نصوصها " المقدسة " – آزاد سعيد سمو.

2-اليزيديون: واقعهم, تاريخهم, معتقداتهم – د.محمد التونجي.

3-الموسـوعة الميسـرة في الأديـان والمـذاهب المعاصـرة – النـدوة العالمية

للشباب الإسلامي.

الإمام الرَّضِي وليّاً للعهد

201 هـ

دأب الشيعة على تصوير أنفسهم ضحايا للحكم السـني ودول الخلافة التي نشأت هنا وهناك, وكـانوا دائمـاً يـدّعون أنهم مضـطهدون ومهمّشـون من قبل جميع الدول السنيّة الـتي حكمت, لكننا اليـوم وفي هـذه السـطور أمام حدث تاريخي هام, يفنّد بعضاً من ادعاءاتهم ويلقي الضوء على جانب مهم من سيرة أئمة آل البيت, وتدحض الشبهات التي كان ينسجها الشيعة, والافتراءات التي كانوا يلصقونها بالأئمة, والأئمة منها براء.

في سـنة 201هـ, عيّن الخليفة العباسي المـأمون الإمـام علي بن موسى (الرضـى) وليّـاً للعهـد, ونقل ولاية العهد من الـبيت العباسي الـذي ينتمي إليه إلى بيت آخر وإلى واحد من أبنـاء الإمـام علي بن أبي طـالب رضي الله عنه.

ولد الإمام علي الرَّضِي بالمدينة سنة 148هـ[1] واشتهر بالعلم والورع, ولم يكن له اشـتغال بالسياسـة, وهو عند الشـيعة الإثـني عشـرية الإمـام الثامن, وفي عام 201هـ, خلع الخليفة العباسي المـأمون أخـاه المـؤتمن, وعيّن الإمام الرَّضِي وليّاً للعهد, واختلفت الآراء حول هدف خطوة المأمون هذه, فالإمام السيوطي يقول أن المأمون كان معروفـاً بالتشـيع, وهـذا هو ما حمله على تولية الرَّضِي, ومنهم من يجعل السبب المعتزلة الـذين كـان المـأمون محاطـاً بهم, ومنهم من يجعل السـبب انتصـار النزعة الفارسـية على النفوذ العربي, وآخرون يـرون تـأثير وزير المـأمون الفضل بن سـهل, كما أن آخرين رأوا في هـذه الخطـوة منـاورة سياسـية رغب المـأمون من خلالها إلى كشف بعض شخصيات آل الـبيت, وإظهـار عزوفها عن الخـوض في غمار السياسة ومعترك الحياة, كما رغب في إظهارهم إلى العلن بـدلاً من عملهم في السر.

وأيّا كان هدف المأمون من هذه البيعة التي اسـتمرت عـامين وانتهت بموت الإمام الرضى رحمه الله سنة 203هـ إلا أننا نجد أنفسـنا مضـطرين للوقوف أمامها كثيراً كونها تلامس أصلاً من أصـول الشـيعة وهو " الإمامة ".

فأهل السنة لم يكونوا يكرهون آل بيت النبي صـلى الله عليه وسـلم, بل كانوا يحبونهم ويوقرونهم ويثنون عليهم, ولـذلك لم يعـترض على توليته أحد من علمـاء السـنة ولم يعمل أحد على عزله وإبعـاده, ولـولا قـدر الله بوفـاة الرَّضِـي قبل المـأمون لاسـتلم الخلافة رجل من آل الـبيت ولبايعه المسلمون من أهل السنة وهـذا يـدحض مـزاعم الشـيعة أن الأئمة من آل الـبيت كـانوا على مـذهبهم في التشـيع!, كما أن جـلّ آل الـبيت لم يكونـوا منعزلين رافضـين للحكم والخلافة ولم يكونـوا يعتقـدون "بالإمامة الإلهيـة" التي جعلها الشيعة الإثني عشرية أصلاً من أصولهم, وكفّـروا من لم يـؤمن بهـا, وهي أن الإمـام منصـوص عليه من اللـه, ويشـكّل تـولّي الرَّضِـي هـذا المنصب في سلطة المأمون إقراراً بشـرعية هـذا الحكم, وبطلان "الإمامة الإلهية".

يقول الباحث الشيعي أحمد الكاتب في كتابه (تطـور الفكر السياسي الشـيعي) ص87: "ومهما اختلف المؤرخـون في تحليل موقف المـأمون, فـإن مبايعة الإمـام الرَّضِـي له وقبوله بولاية العهد يكشـفان عن موقف أيديولوجي ظاهر بشرعية خلافة المأمون وواقعية إمامة الرَّضِي بعيـداً عن نظرية (الإمامة الإلهيـة) الخاصة في أولاد علي والحسـين, وقد أصـبح التحالف بين البيتين الهاشميين: العباسي والعلـوي, سـمة المرحلة التاليـة, وعقيـدة دولة الخلافة العباسـية الرسـمية لبضـعة عقـود, وقد تمثلت بعد المأمون في موقف الخلفاء العباسـيين الإيجـابي من أبنـاء الرَّضِـي كمحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري, حيث كان الخلفـاء يتخـذون منهم رموزاً للشرعية الدستورية, ويقدمون لهم كامل الإحترام والتقدير.

لا ننكر أن إقصاء أحد أبناء آل العباس, وتعيين الإمام الرَّضِي محله, لا بد أن يثـير امتعـاض البعض الـذين فقـدوا سـلطتهم, مما أدّى إلى تنصيب

---

[1] وقيل سنة 151هـ أو سنة153هـ.

خليفة بدلاً آخر من المأمون, لكن الوضع سرعان ما عاد إلى طبيعته, وعاد المأمون إلى بغداد خليفة للمسلمين.

للاستزادة:

1-تاريخ الخلفاء – الإمام السيوطي – ص307.

2-المدخل إلى تاريخ آل البيت – فاروق عمر فوزي – ص136.

3-تطور الفكر السياسي الشيعي – احمد الكاتب – ص86.

4-شذرات الذهب – أبو الفلاح الحلبي / الجزء الثاني – ص2+6.

الراصد

الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية

كتـاب الشهـر تـاليف: د. محمد عبد الله عنان.

الدولة الفاطمية التي حكمت مصر حينا من الـزمن (358هـ-567هـ) جـديرة بالدراسة بسـبب ما أحيطت به من غمـوض, وما يحيق بأصـولها وإمامتها من الريب, ويعتبر عصر الحاكم بـأمر الله الفـاطمي أغـرب فـترة في هـذه الدولة وأعجبهـا, وهـذا ما شـجّع المؤلف الـدكتور محمد عبد الله عنان للبحث في هذه الدولة التي نسبت نفسـها إلى فاطمة بنت الرسـول صـلى الله عليه وسـلم وسـميت بـ (الفاطميـة) في حين أنها تبنت عقائد الإسماعيلية الباطنية.

في الفصل الأول يبين د. عنان الأهمية التي كانت تتمـيز بها مصر من بين الولايات التي كانت تتبع الخلافة سواءً الراشدة أو الأموية أو العباسـية, بسـبب موقعها الجغـرافي وثرواتها الطبيعيـة, وأهميتها العمرانيـة, وهـذا ما جعلها مطمع الزعمـاء المتغلـبين. ولما اضـمحل سـلطان الدولة العباسـية, وضـعفت قبضـتها في النـواحي, غـدت مصر طعمة لطائفة من الحكـام الأقوياء يحكمونها باسم الخلافة ولكن ينشـئون بها دولاً مسـتقلة, كما ظهر ذلك من خلال قيام الدولة الطولونية, ثم الدولة الأخشيدية.

احتلال الفاطميين لمصر:

ولم تكن المقومـات والمـيزات الـتي تتمتع بها مصر والـتي تجعلها صـالحة لتكـون مركز دولة مسـتقلة, خافية على الفـاطميين الـذين كـانوا يحكمون أجزاء في الشمال الأفريقي, ويقيمـون فيها دولتهم الـتي أقاموها على أنقاض ملك الأغالبة, ومن ثم اتجهت أنظارهم إلى مصر.

وكانت للفاطميين في عهد حاكمها الأول عبيد الله المهـدي ثم القـائم بأمر الله محاولات عديدة لاحتلال مصر لكنها باءت بالفشل في أول الأمـر, وكـانت الدولة الأخشـيدية الفتية تحكم مصر آنـذاك, ولما ضـعفت الدولة الأخشـيدية, وسـاءت الأحـوال بمصـر, كـانت الفرصة سـانحة للفـاطميين, فدخلوا مصر سنة 358هـ, وفي الحال أمر القائد الفاطمي جوهر الصـقلي الذي احتل مصر بقطع الدعاء للخليفة العباسي, وبدأت الـدعوة (للخليفـة) الفاطمي, وأمر بتغيير الآذان وإضافة حي على خير العمل.

ولم تكن مصر للفـاطميين غنمـاً سياسـياً فقـط, ولكنها غـدت أيضـاً معقلاً للدعوة الشـيعية, وقد كـان الفـاطميون الـذين يـدّعون نسـبتهم إلى فاطمة الزهـراء يختصـون إمـامتهم بالصـفة الشـرعية, ويعتـبرون الدولة العباسـية على هـذا النحو غاصـبة للإمامة والخلافـة, ويتخـذون من هـذه الـدعوى دعامة لإمـامتهم الدينية وملكهم السياسـي, فهم طبقـاً لـدعواهم أبناء فاطمة, وهم ورثة علي وبنيـه, وهم الشـرعيون في إمامة المسـلمين ورياسة العالم الإسلامي.

الراصد

وحيث أن الفاطميين هم من الشيعة الإسماعيليين, فقد كان عليهم أن ينسبوا أنفسهم إلى آل البيت طبقاً لنظرية الإمامة المعتمدة لدى الشيعة, التي تقول لا يجوز أن يحكم من ليس من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. وقبل الدخول في التفاصيل المتعلقة بالدولة الفاطمية وبعصر الحاكم بأمر الله فقد رأى المؤلف أن يتناول هذه المسألة الخطيرة (الإمامة) ويناقش مسألة انتساب الخلفاء أو الحكام الفاطميين إلى آل البيت, وهي التي تعتبر دعامة إمامتهم الدينية ورياستهم السياسية.

الإمامة:

وفيما يتعلق بنظرية الإمامة الشيعية يقول د. عنان أن فقهاء الشيعة ودعاتها منذ عصر مبكر حاولوا أن يخلقوا جواً قدسياً حول الإمامة, ومن هؤلاء فقيه الدولة الفاطمية الأول, وصديق المعز لدين الله وداعيه الأكبر القاضي أبو حنيفة النعمان القيرواني في كتابيه (دعائم الإسلام) و (الهمة في آداب اتباع الأئمة) وادّعى فيهما أن الولاية أو الإمامة خصّت بعلي وبأبنائه من آل البيت, وأنه يجب التسليم لهم في جميع الأمور, وذكر فيهما الحث على تعظيمهم, وأن السجود لهم ليس بمنكر.

وعلى منوال القيرواني سار العديد من فقهاء الدولة الفاطمية الشيعية كالداعي حميد الدين الكرماني في كتابه (راحة العقل) وكالداعي ثقة الإمام في (المجالس المستنصرية).

وللشيعة على اختلاف فرقهم كتب عديدة أخرى في مسألة الإمامة, والولاية على أهميتها, واعتبارها أساساً من أسس العقيدة الدينية, وانحصارها في علي وبنيه من آل البيت, ويبدو منها جميعاً أن الإمامة هي دعامة الدعوة الشيعية كلها ودعامة دعاويهم في الرياسة الدينية والزمنية.

وقد قامت الدولة الفاطمية متسمة بسمة الإمامة قبل كل شيء, وكان المعز لما قدم مصر سنة 362هـ يحرص أشد ما يحرص عليه الإمامة, وكان الحكام الفاطميون يوسمون في الدعاء على المنابر بما يقرب من النبوة, بل إن الإمامة لتقرن في بعض المصادر الإسماعيلية بمرتبة النبوة ذاتها.

ودأب فقهاء الفاطمية على أن ينسبوا إلى خلفائهم المعجزات والكرامات, ومن ذلك ما رواه الداعي عماد الدين إدريس في كتابه (زهر المعاني) واصفاً المهدي " بأنه ولي الأمر صاحب المعجزات ومبين الآيات, المهدي بالله صلوات الله عليه الذي طلع من الغرب وقام قيام النبي صلى الله عليه وسلم مهلكاً لمن ناصبه الحرب... " وما رواه في (عيون الأخبار) عن الحاكم: " وظهرت لأمير المؤمنين الحاكم بأمر الله عليه السلام فضائل لم يسمع بمثلها, ودلائل ظاهر بيان فضلها ومعجزات بهرت الألباب, وآيات لا يشك فيها إلا أهل الزيغ والارتياب ".

نسب الخلفاء الفاطميين:

بعد بيان مسألة الإمامة لدى الشيعة والفاطميين, استعرض المؤلف الأقوال المختلفة في حقيقة نسب الخلفاء الفاطميين, وهذا الأمر أساسي وجوهري, تبنى عليه أحكام أخرى تتعلق بشرعية حكم الفاطميين وفقاً

الراصد

لمنظورهم هم, فإذا كانوا لا ينتسبون لآل البيت فهم –وفقاً لمبادئهم- غاصبون غير جديرين بالحكم.
ويتساءل المؤلف في بداية هذا الفصل عن أولئك الفاطميين, وهل يرجع أصلهم حقاً إلى علي وفاطمة ؟ وهو لا ينكر أن هذه المسألة يحيط بها الخفاء والغموض, وموضع خلاف وجدل, ففريق من المؤرخين يؤيد الفاطميين في دعواهم وفي شرعية إمامهم, ويرجع نسبة إمامهم, ومؤسس دولتهم عبيد الله المهدي إلى الحسين بن علي وفاطمة بنت الرسول, وهذا الفريق هو القلة, ولكن فريقاً آخر ينكر عليهم هذه الدعوى, ويرى أنهم أدعياء لا يمدون بصلة إلى علي وهذا الفريق هو الأغلبية.
وهذا الفريق من العلماء والمؤرخين يرجع نسبة الفاطميين إلى عبيد الله بن ميمون القدّاح بن ديصان البوني, وكان ابن ميمون هذا يرجع إلى أصل مجوسي من الأهواز, وكان يدعو سراً إلى مذهب فلسفي إلحادي لإنكار الأديان والنبوة, صاغه في تسع مراتب سرية, تنتهي بإنكار جميع العقائد والشرائع, ومن دعوته هذه صنعت دعوة القرامطة, وبعثت ثورتهم الإباحية المروّعة, وكان يتستر بالتشيع.
وممن قال بهذا الرأي وهو أن هؤلاء الفاطميين يرجعون إلى عبيد الله بن ميمون القداح, القاضي أبو بكر الباقلاني, وأبو حامد الأسفراييني وأبو الحسين القدوري, والأبيوردي, وعبد القاهر البغدادي وابن شداد وابن خلكان والنويري وابن حجر العسقلاني وابن حزم الأندلسي, وقد فصّل المؤلف في فصل خاص قوة هذا الرأي (انظر صفحة 7 من موضوعنا هذا).
وفي الفصل الرابع من الكتاب يذكر المؤلف المعارك المتتالية بين الفاطميين الذين احتلوا مصر للتو وبين القرامطة بقيادة الحسن الأعصم الذين يطمحون للسيطرة على مصر, وكيف أن المعز الفاطمي بعث بكتاب إلى الأعصم ذكّره فيه بمكانته ومكانة بيته, وأن دعوة القرامطة نشأت في الأصل عنهم, وأن الدعوة واحدة, ويعاتبه على انشقاقه, وينصحه بالعودة إلى رشده, وينذره بسوء المصير.

عصر الحاكم بأمر الله:

وفي الفصل الخامس اختار د. عنان أن يتحدث بالتفصيل عن عهد أحد الحكام الفاطميين والذي جاء بعد المعز والعزيز, ألا وهو الحاكم بأمر الله, وعن اختياره لشخصية الحاكم يقول المؤلف: "... وإذا كان للعصر الفاطمي سحره الخاص, فإن عصر الحاكم بأمر الله هو بلا ريب أغرب مراحله وأعجبها, وقد غاض بها العصر الفاطمي في تلك الفترة نوعاً, ولكن ما تمتاز به تلك الفترة من الأحداث العجيبة, والنوادر الشائقة وما يمازجها من الخفاء والغموض, وما تمتاز به شخصية الحاكم من الأطوار والخواص المدهشة, والنزعات والأهواء المروّعة, والنواحي الفلسفية والإنسانية أحياناً... ".
ولي الحاكم بأمر الله (ابن العزيز) الخلافة حدثاً دون الثانية عشرة, وكانت أمه جارية روميّة نصرانية, وكان لها أيام العزيز نفوذ كبير في الدولة, وكان لهذا النفوذ أثره بلا ريب في سياسة التسامح الواضح التي اتبعها العزيز تجاه النصارى, وفي تقوية جانبهم ونفوذهم.

الراص

وتنقل المصـادر التاريخية لنا أن الحـاكم كـان سـيء الإعتقـاد, كثـير التنقل من حال إلى حال, وكان مؤاخِذاً بيسير الذنب, حـاداً, لا يملك نفسه عن الغضب, فأفنى أمماً وأجيالاً, وأقام هيبة عظيمة وناموساً.

وكان رديء السيرة, فاسد العقيـدة مضـطرباً في جميع أمـوره, يـأمر بالشيء ويبالغ فيه ثم يرجع عنه فيبالغ في نقضه.

وكـانت خلافته متضـادة بين شـجاعة وإقـدام وجبن وإحجـام, ومحبة للعلم وانتقام من العلماء, وميل إلى الصلاح وقتل الصلحاء.

افتتح عهد حكمه بقتل وصـيّه ومـدبر دولته برجـوان, ثم أمين الدولة السابق الحسن بن عمار وكـان يسـرف في القتـل, فيقتل وزراءه وغلمانه تباعاً, دون حكمة ظاهرة إلا ما كان من نزعة مؤقتة أو سخط فجائي.

وشـغف الحـاكم بـالطواف بمدينة القـاهرة وضـواحيها, طـوال حياتـه, وكان يصدر الأوامر المدهشة, ففي محرم سنة 395هـ, أصـدر سـجلاً يمنع الناس من أكل الملوخية والترمس والجرجير, وحـرّم ذبح الأبقـار السـليمة إلا في يوم النحر, وحرّم صيد السمك الذي لا قشر له, وكذلك بيعه, وحـرّم دخـول الحمـام بلا مـئزر وحـرّم على النـاس أن يخرجـوا من منـازلهم إلى الطرقات من الغروب إلى الفجر, وحرّم بيع الزبيب, وأمر ألا يجتمع النـاس في الصحراء, ومنع الاجتماع على شـاطىء النيل للتفـرج, وركـوب النسـاء مع الرجال, وحرّم لعب الشطرنج.

وأصـدر الحـاكم أوامـره بهـدم كنـائس النصـارى, وطـارد أتباعهـا, ثم أعطـاهم الأمــان وأعطــاهم الحرية في إقامة شــعائرهم و إعــادة بنــاء كنائسهم.

ولم تقتصر سياسة الحــاكم الدينية على هــذه الناحية من اضــطهاد النصـارى واليهـود, ولكنها كـانت تتنـاول الناحية الإسـلامية أيضـاً بكثـير من الأحكام والأوامر الشاذة, وقد كان الفاطميون يحكمـون في مصر شـعباً لا يتبعهم من الوجهة المذهبية فأهل مصر هم على مــذهب أهل الســنة بينما الفـاطميون شـيعة إسـماعيلية, وكـان العمل على تـدعيم هـذه الصـبغة المذهبية أهم عناصر سياسـتها الدينيـة, وقد حـذا الحـاكم حـذو أبيه العزيز وجـده المعـز, وعمل لبث الـدعوة الفاطمية في قـوة وجـرأة, ففي سـنة 395هـــ, أمر بسب الســلف (أبي بكر وعمر وعثمــان وعائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة) وكتب ذلك على أبواب الجوامع والمساجد, ولا سيما جـامع عمـرو وعلى أبـواب الحـوانيت والمقـابر والـدور وأرغم النـاس على المجاهرة به ونقشه في سائر الأماكن, وكـان يصـدر الأوامر الغريبـة, ففي رجب سنة 394هـ, منع الناس من صلاة الضـحى والـتراويح, وقبض بالفعل على أناس وضربوا وشهروا, وفي المحرم سنة 395هـ, قـرىء سـجل بـأن يؤذن لصلاة الظهر في الساعة السابعة, ويؤذن لصـلاة العصر في السـاعة التاسعة, لكنه عاد وأباح صلاة الضـحى وصـلاة الـتراويح في رمضـان سـنة 398هـ أو سنة 399هـ, لكن في أواسط سـنة 401هــ, صـدر سـجل جديد بترك " الصلاة خير من النـوم " من آذان الفجـر, وأن يـؤذن بــ " حي على خير العمل " وأن تمنع صلاة الضحى والتراويح.

وجـاء في بعض الروايـات أن الحـاكم حـاول أن يعـدّل بعض الأحكـام الجوهرية كالصـلاة والصـوم والحج, ولقد كـان الحـاكم في أواخر عصـره

يذهب إلى أبعد مدى من الغلو والإنحراف, فيؤيد الدعوة السرية إلى فسخ أحكام الإسلام, وإلى الدعوة بألوهيته وقيامه.

الدعوة السرية الفاطمية:

تعتبر الدعوة السرية الفاطمية من أخطر نواحي عصر الحاكم, وأخطر نواحي العصر الفاطمي كله, فقد قامت الدولة الفاطمية على أسس الدعوة الشيعية في ظروف غامضة, واتشح الخلفاء الفاطميون بثوب الإمامة الدينية, وردّوا بنسبتهم إلى علي بن أبي طالب, وفاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم, ومساق إمامتهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق, ومن ثم كانت تسميتهم أيضاً بالإسماعيلية.

وكان الخلفاء الفاطميون يحرصون كل الحرص على صفة الإمامة وعلى توطيدها ونشر لوائها بمختلف الوسائل, إذ هي شعارهم الأسمى, وعماد سلطانهم الروحي, ومعقد مطامعهم السياسية, وقد استطاع الفاطميون أن يجنوا ثمار كفاحهم, فبسطت الدولة ظلها بعد شمال أفريقيا على مصر والشام والحرمين, وكان هذا الانضواء تحت لواء الخلافة الفاطمية يتخذ قبل كل شيء لون الظفر السياسي, بَيْد أنها كانت تحرص على أن تحقق ظفرها المعنوي إلى جانب ظفرها المادي, وأن تغزو عقائد المجتمعات التي يدفعها أو تحملها السياسة على الانضواء تحت لوائها ومن ثم كان نشاط الفاطميين في بث دعوتهم المذهبية, وفي العمل على توطيد دعائمها.

ولما استقر الفاطميون بمصر, شعروا بالحاجة إلى مضاعفة جهودهم لنشر مذهبهم الإسماعيلي الباطني وذلك أنها لم تجد في مصر مهداً خصباً لدعوتها, فكان عليها أن تتوسل لغزوها بكافة السبل, واعتمدت على الدعاية السرية وغزو الأذهان بطريقة منظمة, وكان لهم دعاة في سائر الأقطار.

وليس أدل على ما كانت ترتبه الفاطمية من عظيم الأهمية على بث دعوتها المذهبية, واتخاذها وسيلة نافذة لحشد المؤمنين والكافة تحت لوائها مما ورد في كتاب المعز الفاطمي إلى الحسن الأعصم أو الأعظم زعيم القرامطة من تلك العبارة القوية التي يشير فيها المعز إلى عناية الدولة الفاطمية ببث دعوتها في مختلف الأقطار: " فما من جزيرة في الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجيج ودعاة يدعون إلينا, ويدلون علينا, ويأخذون تبعتنا, ويذكرون رجعتنا, وينشرون علمنا وينذرون بأسنا, ويبشرون بأيامنا... "

وعيّن لهذا الغرض عالم كبير عندهم كان يطلق عليه (داعي الدعاة) .

مراتب الدعوة

نستطيع القول أن الدولة الفاطمية كان لها دعوة مذهبية خاصة, وقد أولتها الدولة عناية فائقة, ومن الطبيعي أن تكون مادتها الأولى ما تقوم عليه الدعوة الشيعية الفاطمية من الأصول والمباديء وكانت الدعوة تجري على نسق الجمعيات السرية, في مراتب متدرجة من الأهمية والخطورة, ومراتبها تسع, يعرضها الدعاة بالتعاقب, طبقاً لاستعداد التلاميذ وأهليتهم لتلقيها, فلا يصل إلى مراتبها العليا إلا من كان موضع الثقة والإفضاء, حريصاً على السر, وفيما يلي ملخصاً لهذه الدعوات التسع:

الأولى: يسأل الداعي المدعو عن بعض المسائل الدينية والشرعية, فإذا كان عارفاً بما سُئل أقرّه الداعي, وإلا فإنه يعرضها عليه للبحث والتأمل, ثم يلقنه أن الدين أمر مكتوم يجهله السواد والكافة, وأن انصراف الناس عن أئمتهم هو أصل الشر والخلاف.

الثانية: إذا وثق الداعي بالمدعو وأنس فيه قبولاً, ووثق بحرصه وكتمانه, عندئذ يلقنه أن الله لا يقبل أن يأخذ الناس الدين والشريعة إلا عن طريق أئمة نصبهم الناس.

الثالثة: يلقنه أن الأئمة سبعة رتبهم الله كما رتب السماوات والأراضين, وأن السابع هو القائم صاحب الزمان وهو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق, ويلقي إليه أن عند الإمام علم المستور وبواطن الأمور.

الرابعة: يلقن الداعي المدعو أن الأنبياء المعتبرين الناسخين للشرائع سبعة كعدد الأئمة, وكل منهم لا بد له من صاحب يأخذ عنه دعوته, ويحفظها على أمته, ويكون له ظهيراً في حياته ثم يخلفه بعد وفاته.

الخامسة: أنه لا بد مع كل إمام في كل عصر حجج متفرقون في الأرض, وعددهم إثنا عشر رجلاً في كل زمان.

السادسة: يحدثه عن شرائع الإسلام وفرائضه كالصلاة والصيام والزكاة, وأن لها معانٍ باطنة غير ظاهرة, وأنها وضعت على سبيل الرموز لمصلحة عامة. وينتقل به إلى ميدان الفلسفة ونظريات الفلاسفة مثل أفلاطون وأرسطو, ويعلمه أن منطق العقل هو المعوّل عليه في الأمور, لا الأخبار والأشياء المنقولة.

السابعة: أن صاحب الشريعة لا يستغني بنفسه, وأنه لا بد من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما الأصل, والآخر يصدر عنه, وهذا إنما هو إشارة العالم السفلي لما يحويه العالم العلوي.

الثامنة: أن مدبر الوجود والصادر عنه, إنما هو تقدم السابق على اللاحق, والسابق عندهم (الله عز وجل) لا اسم له ولا صفة, ولا يعبر عنه ولا يحدد, فلا يقال هو موجود ولا معدوم, ولا عالم ولا جاهل.

التاسعة: الانتقال إلى ميدان العلوم الفلسفية والطبيعية, وما بعد الطبيعة, وأن ما ذكر من الحدوث والأصول, إنما هي رموز إلى معاني المباديء وتقلب الجواهر, وأن الوحي إنما هو صفاء النفس, فيجد النبي في فهمه ما يلقى إليه ويتنزل عليه, فيبرزه إلى الناس, ويعبر عنه بكلام الله, الذي ينظم به النبي شريعته حسبما يرى من المصلحة في سياسة الكافة, ولا يجب العمل بهذه الشريعة إلا بحسب الحاجة في رعاية مصالح الدهماء, وليس على العارف المستنير أن يعمل بها.

وفي تعليقه على عناصر الدعوة المذهبية الفاطمية, ومراتبها السرية يقول د. عنان: " إننا نجد أنفسنا أمام دعوة فلسفية حرة, ترمي إلى هدم العقيدة الدينية العادية", ويقول في موضع آخر من كتابه: " من المسلم به إذاً أن الدعوة الفاطمية, كانت لها ناحية سرية, يُضنّ بها على الكافة, ولا يُفضى بها إلا إلى الصفوة من الناس, وأن هذه الدعوة السرية كانت تتضمن مبادىء فلسفية إلحادية ".

نشأة الدعوة وتطوراتها

وفي فصل خـاصٍ من الكتـاب, يتحـدث المؤلف عن أصل الـدعوة السرية الفاطمية التي نشأت ونظمت مبادؤها على يد جماعة من الثوريين الملاحدة بزعامة أبي شاكر ميمون بن ديصـان البـوني المعـروف بالقـداح. وكان ميمون القداح هذا داعية ملحـداً تفقه في دروس الأسـاطير الدينيـة, والبحوث الكلامية والجدل الفلسفي, ومتآمراً وافر الإقدام والجـرأة, وكـان فارسياً مجوسياً من سبي الأهواز, ثم تظاهر بالإسلام والتشيع.

وقد بـدأ ميمـون حياته مـولى لجعفر بن محمد الصـادق, وسُـجن في عهد المنصور, وفي السجن وضع ميمون وأصحابه دعـوتهم, ولمّا خـرج من السـجن, انضم إليه كثـير من غلاة الرافضة والحلولية وادّعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق, وانتشرت دعوته في جنـوب فـارس وفي جنوب العراق والبحرين, وانبث دعاته في كل مكان يتسترون ظـاهراً بالتشـيع, ويعملـون في الخفـاء لبث مبـادئهم الإلحاديـة, وكـانوا يتوسـلون للتـأثير في النـاس بأعمـال التنجيم والسـيمياء, وبعض التجـارب الكيميائية التي كانوا يتقنونها.

وحمل الدعوة بعد ميمون ولده عبد الله, وكان مثل أبيه براعة وتبحّراً في المباحث الفقهية والكلامية والنظريات الفلسفية, وكان يدعو لإمامة آل البيت الذين كان يزعم الانتساب إليهم, وكان يدّعي العلم بالغيب والأسرار الروحيّة والعلوم الخفيّة.

وكـانت هـذه الـدعوة الإلحادية تـرمي إلى نشر المجوسـية بالتـأويلات الـتي يتـأول بها دعـاتهم على القـرآن والسـنة, ويسـتدلون بـذلك على أن إمامهم وزعيمهم الأول, ميمون بن ديصان كان مجوسـياً, ويسـتدلون أيضـاً بما قاله البرذهي, وهو من زعمائهم في بعض رسـائله: " إن المبـدع الأول أبـدع النفس, ثم إن الأول والثـاني دبـرا العـالم بتـدبير الكـواكب السـبعة والطبائع الأربع, وهذا ما يطـابق قـول المجـوس أن الـيزدان خلق أهـرمن, وأنه مع أهرمن مدبران للعالم, غـير أن الـيزدان فاعل الخـيرات, وأهـرمن فاعل الشرور.

ولم يبحث ابن ميمـون عن أنصـاره الحقيقـيين بين الشـيعة الخلّص, ولكن بين الوثنية والوثنـيين وطلاب الفلسـفة اليونانيـة, وإليهم وحـدهم استطاع أن يفضي بسـره وعقيدته وهو أن الأئمة والأديـان والأخلاق ليست إلا ضلالاً وسخرية.

وهكذا حمل عبد الله دعوة أبيه, ونظمها ببراعة مدهشـة, واتخذ بلـدة ساباط, جنوب الفرات, مركزاً لدعوتـه, ولمّا شـعرت السـلطات العباسـية بخطورة هذه الحركة, نشطت إلى إخمادها, وفرّ عبد الله أولاً إلى البصرة, ومعه الحسـين الأهـوازي من أقطـاب شـيعته, فلما جـدّت السـلطات في مطاردته فرّ الحسين إلى الشام, ونزل ببلدة "سـلمية" من أعمـال حمص, واتخذها مركزاً للدعوة.

الراصد

وحمل الـدعوة من بعـده ولـده أحمـد, وسـيّر الحسـين إلى العـراق, وهناك استطاع أن يمهد لإضرام الشرارة الأولى في تلك الثـورة الملحـدة, ونعني ثورة القرامطة التي ابتدأت في جنوب العراق سنة 280هـ, على يد الفـرج بن عثمـان الفاشـاني المعـروف بذكرويـه, وحمـدان بن الأشـعث المعـروف بقرمـط, وهو الـذي تنسب إليه القرامطـة, وكـانت الـدعوة قد اجتـاحت جنـوب فـارس كلـه, وانسـابت إلى البحـرين والإحسـاء, وعـاش القرامطة حيناً في جنوب العراق وغزوا الشام غير مرّة, واستقرت دولتهم بعد ذلك في البحرين في أواخر القرن الثالث الهجري, وعصـفت مبـادؤهم الإلحادية الإباحية بالعالم الإسلامي.

وخلف أحمد بن عبد الله بن ميمـــون في حمل الـــدعوة الباطنية ابنه الحسين ثم أخوه محمد المعروف بأبي الشـلعلع, وكـانت الـدعوة قد ثبتت واستقرت, وقويت شوكة أئمتها ودعاتها, وكثرت أمـوالهم ورسـلهم, وبعث محمد بدعاته إلى المغـرب وعلى رأسـهم أبو عبد الله الحسـين بن أحمد المعـروف بالشـيعي, فنشر الـدعوة هنـاك, وأخذ يبشر بظهـور المهـدي المنتظر, ثم قام بالدعوة سعيد بن الحسين, ويقول بعض المنكـرين لنسب الفاطميين أن سعيداً هذا ليس ولد الحسين, وإنما هو ولد زوجته اليهوديـة, ربّاه ولقنه أسرار الدعوة, واختاره للزعامة والإمامة من بعده.

وسعيد هذا هو الذي فرّ إلى المغرب, حينما همّت السـلطات بـالقبض عليه وإخماد دعوته, ففرّ إلى مصر ومنها إلى إفريقيـا, وهنـاك زعم أنه من ولد إسـماعيل بن جعفر الصـادق, أو بـالأحرى من ولد علي وفاطمـة, وتسمى بعبيد الله المهدي أبي محمد, وزعم أنه المهدي المنتظر, وكان أبو عبد الله الشيعي قد مهّد له سبيل الدعوة, واجتـذب إليه عـدداً من القبائل البربرية القويّة, فاسـتطاع عبيد الله بعد خطـوب وأحـداث جمّة أن يجتـني لنفسه ملك الأغالبـة, وأن يؤسس دولة العبيـديين أو الدولة الفاطمية بأفريقيا (296هـ - 909م), وتوطدت دعـائم الدولة الجديـدة بسـرعة, ولم تلبث أن غلبت على المغـرب كلـه, ثم افتتحت مصـر, واتخـذتها مسـتقراً ومنزلاً (359هـ - 363هـ).

العبيديون الفاطميون والقرامطة

هكذا نشـأت الـدعوة الباطنية وتطـورت, وظهر وجـود صـلة قوية بين الدعوة الباطنية والدعوة السرية الفاطميـة, بل يمكن القـول بـأن الـدعوة الفاطمية السرية إنما هي الدعوة الباطنية بذاتها.

وإن هنالك في المصـادر الإسـماعيلية ذاتها ما يـدل على أن الـدعوة السرية الفاطمية, تمت بصلة وثيقة إلى الدعوة التي يعتنقها القرامطة في البداية, فلقد نشأ القرامطة في أكنـاف الـدعوة الشـيعية, وتحت ظل أئمة سلمية المستورين. وقد اسـتظل القرامطة في بـدء أمـرهم بلـواء الخلافة الفاطمية, ودعوا لها مذ قامت بأفريقيا, واستمد زعماؤهم منها العهد.

الراصد

النظريات والرسائل الإلحادية

سبق القول أن الفاطميين اعتمدوا الدعوة السرية لنشر أفكارهم ومبادئهم الإلحادية, وقد وصلت إلينا بعض هذه الوثائق وهي من إنشاء كبير الدعاة وزعيمهم حمزة بن علي, ويستعرض فيها كثيراً من أصول دعوته, ويؤيدها بمختلف الشروح والمقارنات, ونستطيع أن نلخص مذهب حمزة بن علي في نقاط جوهرية ثلاث:

الأولى: التناسخ, والاعتقاد بأن مذهبهم أو دينهم ينسخ جميع الأديان والشرائع السابقة, ويقول بأن الحاكم بأمر الله هو " ناطق النطقاء " جاء بعد النطقاء الستة الذين تقدموه, وكان آخرهم محمد, وهو قائم الزمان جاء بعد السبعة الصامتين الذين جاءوا بعد محمد صلى الله عليه وسلم.

الثانية: الحلول أو حلول الروح, فروح آدم أصل البشر قد انتقلت إلى علي بن أبي طالب, ثم انتقلت روح علي إلى الحاكم بأمر الله.

الثالثة: ألوهية الحاكم بأمر الله, فالحاكم ليس إنساناً كباقي البشر, ولكن الروح الإلهية حلت به واتخذت صورته, وهذا هو في الواقع أساس المذهب وعماده الجوهري.

ختاماً

حرصنا في عرضنا لأحد الكتب المتميزة للدكتور عنان على تسليط الضوء على الدولة الفاطمية التي تنبت العقائد الإسماعيلية, وبيّنا عقائدها التي خالفت ما عليه أمة الإسلام, كما حرصنا على إيضاح بعض الجوانب الغامضة في مسيرة هذه الدولة التي نسبت نفسها زوراً إلى آل البيت وإلى الإمام جعفر الصادق, حيث بين المؤلف بما لا يدع مجالاً للشك حقيقة انتساب العبيديين أو الفاطميين إلى ميمون بن ديصان الفارسي المجوسي وفنّد مزاعمهم بانتسابهم إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كما خصّ المؤلف عصر الحاكم بأمر الله بمزيد من التفصيل والبيان لغرابته وشدة انحرافه وخروجه عن المألوف وادعائه الألوهية, وإصدار التعليمات الغريبة المتناقضة.

كما حرص المؤلف على بيان أسس ومراحل الدعوة السرية التي تبنتها الفاطمية, والتي هي في حقيقتها دعوة إلحادية منحرفة, أدخلت على الإسلام وثنيات المجوس, وأباطيل المنحرفين.

ولم يفت المؤلف بيان الصلة الوثيقة التي كانت تجمع الفاطميين بالقرامطة الإسماعيلية الذين حاربوا المسلمين, وقتلوا حجاج بيت الله الحرام, واقتلعوا الحجر الأسود, لكن مطامعهم التي لا حدود لها,

الراصد

ومنافسـتهم على البلاد الـتي كـان يحتلها الفـاطميون سـببت القطيعة بين الجماعتين.

الراصد

إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت

قـالوا: "شخصـياً لا أسـتطيع السـيطرة على أعصـابي عنـدما يتحـدث عمرو خالد عن أرذل خلق الله, ومشكلة عمرو خالد أنه يقدم الإسـلام من خلال تجارب القتلة والأفّاكين والـدمويين وكتّـاب التـاريخ المـزوّر (خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبي هريرة ومعاوية بن أبي سفيان...), إن هـؤلاء الـذين يـدافع عنهم (الشـاب خالـد) مغمـورون في الأرض, ملعونـون في السماء".

أحمد حسين إبراهيم

موقع إباء الشيعي 21/9/2002.

قلنـا: ما نقلنـاه عن أحمد هـذا غيض من فيض, بل لقد اخترنا أكـثر العبـارات تهـذّباً, من بين تلك الـتي درج الشـيعة على اسـتعمالها في حق صحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

لقد صبّ هـذا الموقع المشـبوه جـام غضـبه على عمـرو خالـد؛ لا لأنه ألّف كتابـاً عن عقائد الشـيعة, ولا لأنه انتقد شخصـية شـيعية مثلاً, بل لأنه يتحـدث عن صـحابة النـبي الكـرام وزوجاته الطـاهرات, ولقي حديثه هـذا قبولاً كبيراً في أوساط المسلمين الذين يعرفون منزلة الصحابة وفضـلهم وقربهم من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد بلغت الوقاحة بهـذا الموقع إلى أن يتهمـوا سـيف الله المسـلول خالد بن الوليد بـالزنى من زوجة مالك بن نـويرة "المرتـد, الـذي يعتـبره الشيعة صحابياً جليلاً! ويتهموا أبا هريرة رضي الله عنه بأنه علمـاني كـانت مهمته الافتراء على الله ورسوله, ويكفي هـذا الغيض من الفيض كفانا الله شرّه.

الحق أنطقهم

قالوا: "الظلم الديكتاتوري الـذي أرخى بظله على العـراق المضـطهد عبر عشرات السنين الماضية أريد له أن يلبس الثوب الطـائفي والمـذهبي من خلال تركـيز النظـام السـابق على اسـتهداف وضـرب البيئة الشـيعية المتحركة بما يوحي أن هذا الظلم الذي كان قائماً هو ذو بُعد مذهبي بعيـداً عن حقيقة النظام العلمانية المتزمتة فكـراً قوميـاً اشـتراكياً خاليـاً من أي اعتبار ديني, هذا مع العلم أن أشنع مجازر النظام كانت في مدينة "حلبجة" الكردية السنيّة والتي اعتبرت حدثاً إجرامياً كبيراً في التاريخ الحديث لهذه المنطقة...".

مصعب حيدر

مجلة الوحدة الإسلامية الناطقة بلسان تجمع علماء الشيعة في لبنان

العدد 22 رجب- شعبان 1424هـ/ سبتمبر- أيلول 2003م

قلنا: دأب الشيعة على نسبة جرائم صـدام إلى السـنة واسـتغلوا ذلك في ظلم أهل السـنة في الحكم الجديد وتهميشـهم والإسـاءة إليهم, ورغم

ذلـك, فـإن واحـداً من المنـابر الشـيعية "مجلة الوحـدة الإسـلامية" أنطقها الحق, وليت الشيعة الآخرين يتعظون.

ملايين أم آلاف؟

قالوا: "توقع وصول ثلاثة ملايين شيعي إلى كربلاء في ذكرى المهدي, والسلطات المحلية تتوقع وصول خمسة ملايين زائر"

الرأي 12/10/2003

قلنا: "لقد فات واضعو هذا الخبر أن يقولوا وصول "مليـار" شـيعي أو مليارين, فتضخيم الأرقام صار أمراً مألوفاً لـدى الشـيعة, فهم يريـدون أن يقنعونا بـأنهم الأغلبية السـاحقة في العـراق, والسـبب معـروف: الاسـتئثار بالحكم وتهميش السنة واضطهادهم.

ونحن نتساءل: كيف يمكن لهـذه المدينة الصـغيرة أن تسـتوعب هـذه الملايين الخمسة, وهي بهذا المستوى من ضعف الإمكانيـات والتجهـيزات, وقلة المرافق في الـوقت الـذي لا تسـتطيع مدينة مثل مكة المكرمة هي قبلة جميع المسلمين من استضافة أكثر من مليـوني حـاج أو معتمر بـرغم الخدمات والبنية التحتية الهائلة التي تمتلكها والتوسعات المستمرة!

أهكذا هو العداء مع الشيطان الأكبر!

قـالوا: "س: بريمر والإدارة الأميركية يعتـبران المقاومة العراقية ضد الاحتلال إرهاباً, فمع من أنتم؟

ج: قتل آية الله محمد باقر الحكيم مع ثمـانين من رفاقه وجـرح أكـثر من 200 من الأبريـاء الـذين أنهـوا صـلاة الجمعة في مرقد الإمـام علي, أليس هـذا إرهابـاً؟ واغتيـال ممثل الأمم المتحـدة دي ميللـو, أليس هـذا إرهاباً؟!

س: وهل قتل الجنود الأميركيين إرهاب؟

ج: تفجـير السـفارة الأردنيـة.. أليس هـذا إرهابـاً, وإذا كـان هـذا ليس إرهاباً, فما هو الإرهاب في نظر الإعلام العربي؟

س: ماذا عن قتل جنود الاحتلال الأميركي.. هل يعد إرهاباً؟

ج: غالبية الشعب العراقي تؤمن بأنه لا بد من اتباع الأسلوب السلمي في مقاومة الأميركيين وليس شن هجمات عليهم.

س: أي ترشقونهم بالزهور؟ وكيف تقاومونهم سلمياً؟

ج: بين الصـفر والمائة هنـاك 90 درجة وبين رش الـورود والرصـاص هناك 99 درجة.

س: هل يمكن مقاومة الاحتلال بدون رصاص؟

ج: العمليات العسكرية تستهدف منشآت النفط والكهرباء والماء.

الراصد

س: ولكن لم تجبني, هل قتل الجنـود الأميركـيين إرهـاب؟ وأنتم كنتم تقاومون حكم صدام بالسلاح وليس بالورود, فكيف هـذا التحـول السـلمي المذهل لديكم؟

ج: من قال ارموهم بالزهور؟ وأنت تنسب لي كلاماً لم أقله. الصحف العربية تكيل بمكيـالين, فمجلس الحكم يجب –من وجهة نظر هـذا الإعلام- أن يكون منتخباً بينما لا يطالب الحكام العرب بأن يكونوا منتخبين؟

بالنسـبة للمقاومــة, فنحن نقــاوم سـلمياً ونتبع أسـلوب الحــوار.. والمقاومة بالسلاح ليست لصالح الشعب العراقي في هذه المرحلة".

حامد البياتي

ممثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق

الوطن العربي 3/10/2003

قلنا: لقد أعادت المجلة سؤالها ست مـرات لمعرفة رأي الشـيعة في الاحتلال الأمريكي للعراق هل يعد عندهم إرهاباً أم لا, والجواب كان الكثير من الهروب من هذا السؤال المحرج الصعب, والكثير من الدبلوماسية.

المتشيعون والصوت العالي

قالوا: "إن هؤلاء السادة (الإخوان المسلمين) لا يعرفـون شـيئاً لا عن الإسـلام ولا عن الفقــه, وإن سـلاحهم المعـرفي الأساسي هو المسـدس والقنبلة فضلاً عن التزييف الإعلامي.

نحن أمـام وجـوه متعـددة لشـيطان واحد يرتـدي مسـوح الرهبـان والقديسين.. قاتل وشاعر وطابور خامس من المفتين الذين يلبسون الحق بالباطل ويكتمــون الحق وهم يعلمــون, ولا يبــالون بحرمة الــدماء ولا مسؤولية الكلمة.."

الكاتب المصري المتشيع

أحمد راسم النفيس

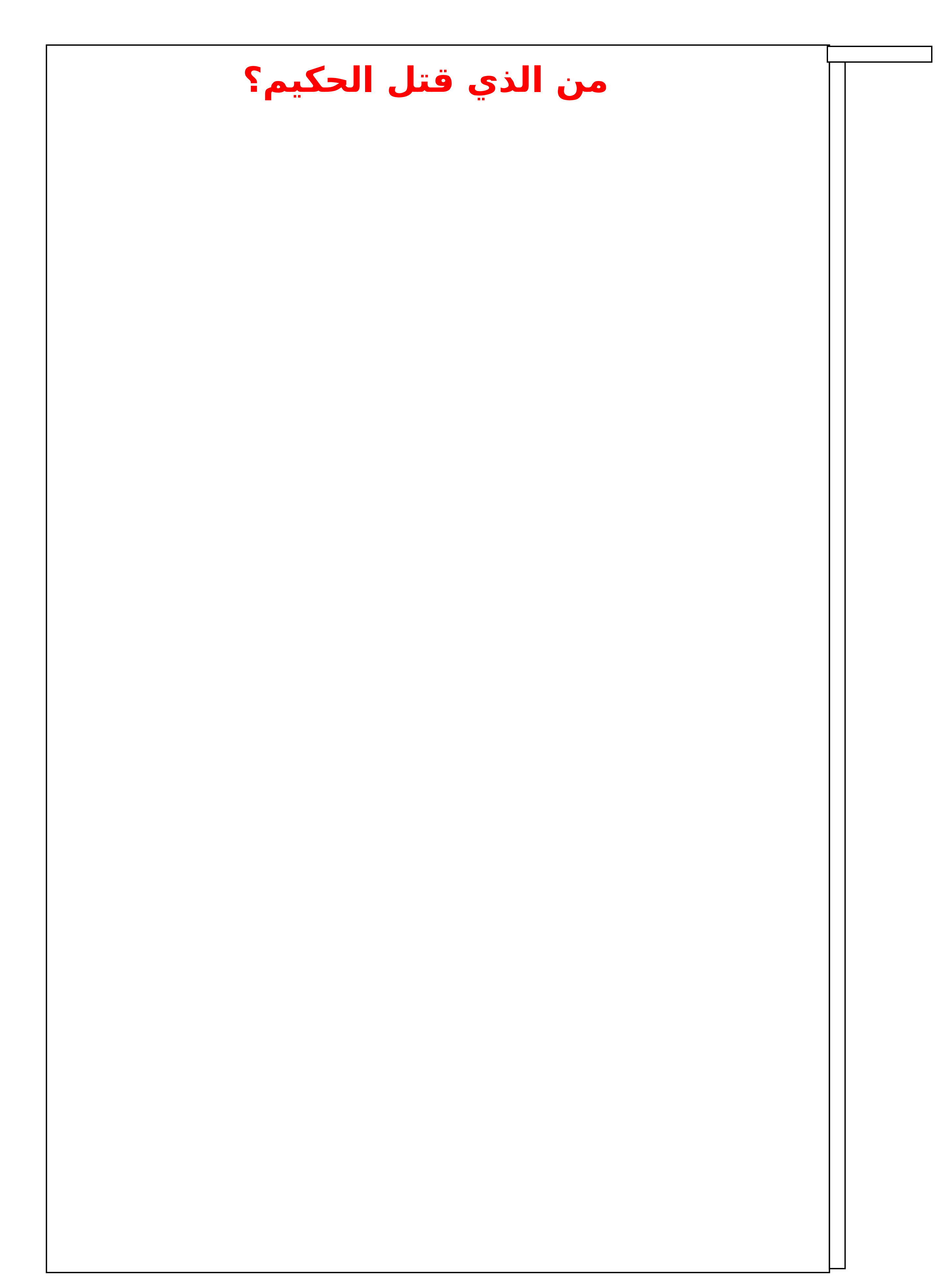
القاهرة 9/9/2003

قلنا: لقد أطلق هذا الكاتب المصري المتشيع العنـان لنفسه لمهاجمة أكـبر تيــار إسـلامي وهو جماعة الإخــوان المسـلمين, بــالرغم من أن المتشيعين جسم طارئ وغريب على المجتمع المصـري, ويحـدث هـذا في الوقت الذي يعقد فيه الشـيعة مـؤتمراً في البحـرين للتقـريب بين الشـيعة والسنة.

فإذا كان هذا هو تعاملهم مع الهيئات والشخصيات السنية التي تحـابي الخط الشيعي, فكيف سيكون حال هؤلاء المتشيعين إذا ما صاروا أكثرية؟

ومتى يتنبه أهل السنة إلى حقيقة موقف الشيعة منهم؟

الراص
الراص



من الذي قتل الحكيم؟

معلومات عن انشقاق عسكري في فيلق بدر[1]

أكدت مصادر عراقية مطلعة أن انشقاقاً حصل في فيلق بـدر الجنـاح العسكري للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق قبل أقل من شـهر من عملية اغتيال زعيم المجلس محمد باقر الحكيم في النجـف, وأضـافت المصادر أن الانشقاق في "بدر" قـاده مسـؤول عسـكري كبـير في الفيلق يدعى "حاجم" بحيث أصبح هناك تياران في فيلق بـدر, الأول تـابع للحكيم, والآخر تـابع لــ "حـاجم" الـذي قـالت تلك المصـادر إن التحقيقـات تـرجح مسؤولية جناحه عن اغتيال الحكيم.

وقالت المصـادر العراقية إن فيلق بدرالـذي كـان موجـوداً في إيـران قبل العــدوان الأمــريكي على العــراق, هو المســؤول عن حراسة قــادة المجلس الأعلى للثــورة وتوفــير الحماية لهم, حيث لوحظ أن قــوات من الفيلق تابعة لــ "حـاجم" لم تتواجد في موقع عملية اغتيـال الحكيم, وكـان المكان دون حراسة من قوات بدر, مما سهل تنفيذ عملية التفجير المـروّع في النجف.

وقال المصادر العراقية إن انشقاق "حـاجم" وخروجه على الحكيم تم بـدفع من دولة مجـاورة قـالت إن "حـاجم" محسـوب عليهـا. وأضـافت أن "حاجم" له ميول باتجاه الزعيم الشـيعي البـارز مقتـدى الصـدر. وبينما تعد النجف المكان الرئيس لوجـود جنـاح الحكيم في فيلق بـدر, فـإن "حـاجم" يتركز في الناصرية جنوبي العراق.

وأشـارت المصـادر العراقية إلى أن جماعة الحكيم أبـدوا تسـرعاً في توجيه الاتهامـات لأطـراف عراقية ولعناصر من دولة عربية مجـاورة, فـور عملية الاغتيال, وحاول البعض إضفاء بعد طائفي على العملية, وهو ما أثـار مخاوف شـديدة من احتمـال تفجـير فتنة طائفية واسـعة, لكن المفـاجئ – وفق المصادر العراقية المطلعة- أن نتائج التحقيق دخلت طي الكتمان بعد ذلـك, ولم يعد يطــرح أي حــديث عن هوية الجهة المســؤولة عن اغتيــال الحكيم بعد مــرور ســتة أســابيع على العمليــة, وهو ما أثــار الكثــير من الشكوك.

يـذكر أن زعيمـاً دينيـاً كبـيراً هو عبد المجيد الخـوئي كـان قد تعـرض لعملية اغتيـال داخل المسجد في النجف نتيجة خلافـات داخليـة, ولم تحظ تلك العملية في حينه باهتمــام إعلامي واسع رغم أن الخــوئي كــان يعد شخصــية رئيســية لا تقل مكانتها عن مكانة الحكيم, وقتل معه عــدد من الأشخاص داخل المسجد.

الراص

[1] (?) السبيل, 7/10/2003

ملاحظات على نقاط ضعف السياسة الخارجية

الإيرانية في عهد خاتمي[1]

أحمد نجيب زاده
أستاذ العلوم السياسية-جامعة طهران

يبين المقال أن إيران بـرغم امتلاكها لعناصر كثـيرة إيجابية يمكن أن تســخرها في سياســتها الخارجيــة, إلا أن هــذه العناصر كالنفط والبيئة والسـكان والمـوارد والقـوة العسـكرية, كـانت وبـالاً عليها بسـبب سـوء الاستخدام والأطماع وتصدير الثورة والاصطدام بالآخرين ....المحرّر.

إن السياسة في جوهرها هي علم البراعة والحســابات الدقيقة حيث الحكمة والعقل والقيادة. وكما قال أحد الحكماء فـإن " إدارة شـؤون البلاد تتطلب التفكير العميق والحكمة " ومن الممكن القـول بـأن الحكمة يمكن أن تسـتخدم في كل منـاحي الحيـاة وليس فقط في السياسـة, وقد يقـول القائل أنه من الممكن أن تسـود الحكمة كل شــيء إلا العلاقــات الخاصة والمشــاعر الإنســانية, ومن المؤكد أن عــالم السياسة لم ينفصل عن المشاعر والأحاسيس وربما يكون من الخطر أن يبتعـد. فقد ذكّر ألكسـندر سولزينشـتين قـادة الكـرملين في خطابه الـذي انتقد فيه سياسـاتهم, أن الذي جلب للاتحاد السوفييتي انتصاراته في الحرب العالمية الثانية, ما كان إلا المشاعر الوطنية والدينية وليس الأيديولوجية اللينينية – الماركسية .

كل هــذه العوامل لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبــار عند وضع منظــور التخطيط الاســتراتيجي لكن قيـادة التخطيط والتنفيذ لا بد أن تكــون في أيــــدي حكمــــاء, فليس من خطر أشد على الأمم في السياسة – خاصة الخارجية – من التوجهـات الرومانسـية, فـالخبرات التاريخية تؤكد أن مثل هذه التوجهات مكتوب لها الفشل لا محالة, ففي نهاية القرن الثـامن عشر وفي فترات التطـرف العقلاني, كـان النـاس ينحـون نحو العاطفة والإلهـام والشعر, كانت الرومانسية تسود كل أشكال الأدب وتخـترق كل المجـالات بما في ذلك السياسة, كانت هذه الأوضاع من بين الأسـباب الـتي أدت إلى فشل العديد من الحركـات الوطنية رومانسـية التوجـه, مثل حركة الإحيـاء في إيطاليا.

لكن الموجات التالية للرومانسية كانت أشد خطراً, ففي بداية النصف الأول من القــرن العشــرين, ســادت هــذه التوجهــات وظهــرت النازية والفاشـية, في هـذه الأوقـات وبعد فـترات طويلة من الفوضى وفـترات أطول من اليأس اتخذ النـاس من الأسـاطير ملجأ لهم, سـادت الأسـاطير والسخرية اللاذعة حتى أصبحتا هما الحقيقة والمصباح المنير للنــاس, ومن بين الأسـاطير الـتي لا زالت موجـودة حـتى يومنا هـذا أسـطورة القوميـة, القومية الطورانية, القومية التركية, القومية الإسـلامية والقومية الإيرانيـة, وفي عصر سـيطرة العديد من النظم الاسـتعمارية على الـدول الإسـلامية, لم تكن أسـطورة القومية الإسـلامية في إطـار الأمة الموحـدة, إلا إغفـال للحقـائق, فقبل هـذا كـانت هنـاك تجربتـان فشـلتا فشـلاً ذريعـاً, التجربة الناصـرية الـتي دعت إلى دولة عربية موحـدة, والتجربة البعثية الـتي دعت

[1](?) مختارات ايرانية العدد 32 2003

الراص

إلى أمة عربية موحدة, فلو كانت فكرة الأمة والعالم الإسلامي الموحد قد بقيت مثل " التحالف المقدس " لقيصر الروس الكسندر الأول في عام 1815 لكانت مقبولة, لكن كيف ذلك, وفي هذه المنطقة تعيش أربعون أقلية إثنية ودينية وتوجد أنظمة تتراوح ما بين الرجعية والثورية, في كل هذه الأوضاع فإن موضوع الوحدة ما هو إلا حلم من أحلام اليقظة.

منذ بداية القرن التاسع عشر, أصبحت السياسة الخارجية الناجحة هي التي تقبل بحقائق الحكومات والدول وتعرف عن كثب التركيبة الهرمية للقوى في العالم وعلى هذا الأساس يمكن للقائمين على السياسة الخارجية أن يعملوا على إعداد السيناريوهات التي تتوافق مع موقفهم الخاص, والبيئة السياسية العالمية, ولا بد لصانعي السياسات أن يأخذوا بعين الاعتبار قواعد اللعبة في العلاقات الدولية, حيث العلاقة المنطقية بين أهدافهم والأدوات العملية التي يملكونها.

وربما نستدعي هنا مقولة كورت ليوين, ومفادها أن ما يشكل السياسة الخارجية لبلد ما هو المعادلة التالية :

F=(A,E)C حيث يمثل الطرف الأول للمعادلة السياسة الخارجية التي تستدعي نوعاً من الأداء يتكون من الفاعلين لهذه السياسات والبيئة المحيطة بهم, وحسب هذه المعادلة فإن السياسة الخارجية هي النتيجة الطبيعية لأداء القائمين عليها والبيئة المحيطة بهم, وسوف نستخدم هذه المعادلة كمرشد لنا لنرى الأدوات التي تمتلكها إيران كفاعل على الساحة الدولية والعوامل التي تؤثر في سياستها الخارجية, بعد ذلك سنتطرق للموقف الدولي في الثمانينات والتسعينات, سيبدو –عند ذلك – أن الأداء والأهداف والبرامج التي وضعت أي الخطط والأهداف – لم تكن متجانسة, ومما لا شك فيه أن المصالح الوطنية هي الأساس الذي نستطيع أن نحكم من خلاله, على الرغم من أنه من الصعب أن نحدد ماهيتها وقد تختلف الآراء حولها.

ولعلنا نستطيع أن نحسم هذه الإشكالية بسؤال بسيط : هل يحق للأب محدود الدخل والإمكانات أن يتجاهل رفاهية ومستقبل أبنائه ؟ هل يحق له أن يتصرف بشكل لا يتناسب ومصالح العائلة ؟ هل يعطي الأولوية لرخاء ومصالح الآخرين مثل الأصدقاء والجيران ؟ ثم بعد ذلك علينا أن نتساءل : ما هو السبيل إلى الأداء الذي يؤمن مصالح العائلة ... قد يكون ذلك موضعاً للاختلاف.

1-إيران كفاعل :

عدد ريمون هارون, عالم وأستاذ العلوم السياسية الفرنسي في رائعته عن " الحرب والسلام بين الأمم " العوامل التي تؤثر على السياسة الخارجية لدولة ما وهي البيئة, والمكان والسكان والموارد, والنظام السياسي والقوة العسكرية والبعثات الدبلوماسية والأيديولوجية والشعور الوطني, إن إيران بلد واسع, لكن اتساعها لا ينعكس بالضرورة على قدراتها كقوة كبرى, وبسبب اتساع حدودها وانتشار سكانها, فإن الدولة تحتاج دائماً إلى قوة عسكرية كبيرة كانت هذه هي الأسباب التي دعت

الراصد

إلى ظهور الحكومات العسكرية والديكتاتورية حسب نظريات الاستبداد الشرقي.

وبعد تأسيس الجمهورية الإسلامية ونشوب الحرب بين إيران والعراق, تأكد للجميع أن حماية الحدود الايرانية ليست بالأمر الهين فلا بد من وجود جيش قوي وكبير, وبغض النظر عن أن اتساع رقعة إيران قد يعد نقطة ضعف أو قوة, فإنها تعتمد على عوامل كثيرة منها رجال الدولة, إن الموقع الاستراتيجي لإيران والذي يربط آسيا بالشرق الأوسط ووسط آسيا بالخليج (الفارسي) هو الذي يجعلها تعمل كنقطة التقاء لأربع مناطق في العالم, لكن لأن إيران غير قادرة على استغلال هذا الموقع, فإن قوى أجنبية بدأت تتناحر وتعمل على وضع حكومات حليفة في سدة الحكم, وهذا ما يدعو إيران إلى التفكير جدياً في أهمية استغلال هذا الموقع وإلا فإن الأهمية الاستراتيجية ستتحول إلى نقطة ضعف.

أما سكان إيران, فقد كان تعدادهم قليلاً, لكنه بدأ في التزايد بشكل غير منتظم مما أدى إلى ظهور العديد من المشاكل, واليوم تعد كفاءة السكان وليس تعدادهم هو المقياس الأهم, لكننا نرى فجوة كبيرة بين الأغنياء والفقراء, وفجوة أكبر بين المتعلمين وغير المتعلمين, وفشلاً كبيراً في تخطي الحواجز الإثنية التي أصبحت تشكل عاملاً من عوامل عدم الاستقرار السكاني, فإذا ما كانت هناك حكومة حكيمة وذات نظرة ثاقبة في شؤون التخطيط, لكانت قد دعمت أسس الوحدة الوطنية وبسطت نفوذها في الدول المجاورة, ومثال على ذلك الإيرانيون العرب يستطيعون القيام بدور كبير في الدول الإسلامية, كذلك الحال مع الإيرانيين من أصل تركي.

ومن المفترض أن تكون الموارد الطبيعية عاملاً هاماً لدعم السياسات الخارجية, إلا أن البترول في إيران أصبح عاملاً سلبياً في هذا المجال وأضعف اقتصادها وسياساتها الخارجية التي أصبحت تعتمد على منتج واحد لقد تحولت العقوبات الاقتصادية إلى موقف تراجيدي معقد بدلاً من أن تحفزنا على دعم البنية التحتية لصناعاتنا, فالدول تقاس قواها الآن بمدى التقدم الصناعي والتكنولوجي الذي يمكنها إحرازه.

وكانت القوة العسكرية في فترة حكم الشاه تقوم على أسس كلاسيكية, وبمقاييس ذلك الزمان, فإن الجيش كان مرتبطاً بنظام التسلح الأمريكي, لذا كان لدى إيران جيش قوي وتعتمد عليه, ومن جهة النظر هذه, فلا بد أن نؤكد أن على إيران أن تملك جيشاً قوياً مثل فرنسا وليس مثل سويسرا, لقد كان الشاه محقاً عندما عمل على بناء جيش قوي, لكن اعتماد الجيش على الخارج في التسليح يعني أيضاً التبعية السياسية وهو ما حدث في حالة تركيا, وبنفس المقاييس فإن استقلالية إيران السياسية خلال فترة الجمهورية الإسلامية تستدعي الاستقلالية العسكرية, لكننا نعرف أن الصناعات العسكرية في إيران ليست في المستوى الذي يسمح لها بالمواجهة مع دول مثل تركيا أو باكستان اللتين تسلحان جيوشهما حسب النظم الغربية المتقدمة الشيء الوحيد الذي استطاعت إيران أن تقوم به هو تنويع مصادر السلاح, لكن لا بد من أخذ المبادرة بتطوير صناعة الأسلحة لمواجهة استفزازات دول مثل تركيا وإسرائيل, وحتى ذلك

الحين, على إيران إما أن ترجئ بعض سياساتها أو تعمل على تأكيد عناصر أخرى في سياستها الخارجية.

أما البعثات الدبلوماسية لإيران فقد كـانت في غاية الضـعف, حيث لم تقم بـدورها في وضع السـيناريوهات المحتملة ولم تعمل على المشـاركة الإيجابية في المحافل الدولية, وفي بعض الحالات يكـون من الأفضل عـدم وجـود مثل هـذه البعثـات, فمنذ عهد الصـفويين, كـانت المشـاعر الوطنية للإيرانــيين هي الطريق الأوحد لحركــات المقاومــة, وقد نجحت الثــورة الإسلامية في إيران عندما خرجت الملايين إلى الشوارع لتؤكد هذا الاختيار وتضيف ثقلاً كبيراً لإيـران بين الشـعوب الإسـلامية, لكن ذلك أثـار الـرعب بين الحكومـات خاصة عنـدما أصـبح الإسـلام هو العامل المحـدد للسياسة الخارجية الإيرانية, لم يكن معروفاً في ذلك الـوقت كيف سـيكون الإسـلام موجهــاً للسياسة الخارجية الايرانيــة, مما أثــار الكثــير من الشــكوك بين جيراننا, وفي هذا السياق كان هناك عاملان أساسيان يثيران التساؤل :

الأول كان وحدة الشعوب الإسلامية والثاني كان تصدير الثورة وهو ما دعا صـدام حسـين إلى الـدخول في حـرب ضد إيـران بمسـاندة الأنظمة العربية ويفسر ذلك أيضاً الحملة الدعائية التي بـدأت في ذلك الـوقت ضد إيران في روسيا, كانت هناك نظريتان تقفـان في المواجهـة, الأولى كـانت نظرية تروتسـكي حـول الثـورة العالمية والثانية كـانت تـدعو إلى احتـواء الثورة في روسيا وتقوية أسس الاشـتراكية, النظرية الثانية الــتي دعا إليها لينين هي ما اعتقـده سـتالين واسـتطاع من خلاله أن يبسط نفـوذ نظامه على حساب فقدان مساحات شاسعة من روسيا.

أدت هذه الواقعية في النهاية إلى اسـتعادة روسـيا كل الأراضي الـتي فقـدتها أثنـاء الحــرب العالمية الثانيــة, بالإضـافة إلى أنهم اسـتطاعوا أن يبسطوا نفوذهم على ما يقـرب من نصف دول أوروبـا, لكن الاعتمـاد على نظرية الثورة العالمية أو على الأقل الثورة على أراضي المسـلمين وهو ما اعتــبره العديد من الــدول تــدخلاً في شــؤونها الداخليــة, فقد كبّل إيــران بالعديد من المشاكل التي لا زالت تعاني منها منذ عشرين عاماً, لقد تحول الاتحاد السوفييتي خلال عشرين عاماً منذ اندلاع الثورة البلشفية إلى قــوة عظمى, بينما تزايدت المصاعب التي تواجه إيـران بسـبب الفشل في فهم – والاعتراف – بالنظام الدولي وموقع هذه الدولة من هيكلية هـذا النظـام, وبلمحة ســريعة حــول العوامل المــؤثرة في السياسة الخارجية لإيــران, سنصل إلى نتيجة مفادها أنها ليست في موقع القـوة الرئيسـية في العـالم ولا تستطيع القيام بـدور قيـادي في منطقة هامة منـه, إن إيـران تعد قـوة إقليمية هـذا إذا ما كـان لـديها حكومة تسـتطيع اسـتغلال كافة الإمكانـات المتاحة.

2-البيئة :

عندما قامت الثورة الإسـلامية في إيـران كـان النظـام الـدولي ثنـائي القطبية لا زال قائماً, على الرغم من وجود بعض الانشقاقات التي ظهـرت في بنيته وفي عـام 1979 عنـدما قـامت الثـورة وبـدأت الحـرب البـاردة الثانية بدخول القوات السوفيتية في أفغانسـتان أصـدر كـارتر قـراره ببـدء

تصنيع صواريخ إم إكس, في الوقت الذي كان فيه الاتحاد السوفييتي مشغولاً ببناء صواريخ اس اس 20, وفي أماكن أخرى من العالم كان هناك تطور سريع باتجاه تدعيم السوق الأوروبية المشتركة وظهور الصين كقوة عسكرية وانطلاق اليابان كقوة اقتصادية بارزة, كما ظهرت بعض الحكومات في ليبيا وسوريا لتمثل تحدياً للنظام ثنائي القطبية, في هذا المناخ ظهرت الثورة الإسلامية بشعارها " لا شرق ولا غرب ". قبل ذلك التاريخ لم يكن ممكناً لدول العالم الثالث أن تعمل بعيداً عن التقاليد التي وضعتها إحدى القوتين العظميين, فقد استفادت النظم الحاكمة في كوبا وفيتنام وسوريا وليبيا من مساعدة الكتلة الشرقية.

وربما كان من الممكن خلال الفترة من 1979 – 1985 أن تقع ثورة مستقلة عن الكتلتين, فقد لاحظنا أن القوتين العظميين قد توصلا إلى نوع من الاتفاق وظهر ذلك واضحاً في صدور القرار 598 ضد إيران, وكيف قامت أمريكا بقصف طائرة ركاب إيرانية, ووقف الاتحاد السوفييتي صامتاً حيال ذلك, في نفس الوقت, كان لدى إيران مساحة للمناورة وهو ما لم يعد متاحاً بعد تفكك وسقوط الاتحاد السوفييتي حيث سادت أجواء أقرب إلى الأجواء التي عرفها العالم عام 1919.

وكنتيجة لذلك واجهت إيران القوة الوحيدة العظمى التي بقيت على المساحة الدولية، دون أن تستفيد من إمكانية مساعدة قوة أخرى. وهكذا فرضت الكثير من القيود على إيران الإسلامية، وكان لابد من الاختيار بين طريقين، إما أن نصل إلى اتفاق مع أمريكا. وكان ذلك يستدعي وجود بعثات دبلوماسية قوية بالإضافة إلى تقديم تنازلات... أو اتباع نفس السياسة التي اتبعها الصينيون منذ عقدين وهي إغلاق الأبواب وبناء دولتهم من الداخل. حتى هذا الخيار كان لابد له من وجود الاتحاد السوفيتي لكي يساعد في بناء البنية التحتية الصناعية كما فعل ستالين مع الصين.

الطريق الثالث، والذي اقترحه البعض، كان إقامة تحالف مع قوى أخرى مثل الصين وروسيا واليابان وأوروبا. وكانت هذه نظرة ثبت عدم جدواها. ففي مجال التعاون الخاص بالصواريخ والمفاعلات النووية, نجد أن الصين ليست مستعدة لاتخاذ أية مواقف قد ينشأ عنها مشاكل خطيرة. وعندما تجد الصين أنها ستواجه مأزقاً في علاقتها بالولايات المتحدة فإنها عادة ما تضحى بإيران. على الجانب الآخر، كانت روسيا المنافس الطبيعي لإيران في وسط آسيا بينما اليابان لا تستطيع أن تتخذ أية مواقف مناقضة لوجهات النظر الأمريكية. ولقد كانت وجهة نظر إيران مخطئة أيضاً فيما يتعلق بأوروبا. فعلى الرغم من المنافسة الاقتصادية القائمة بين أوروبا وأمريكا إلا أنهما يشتركان في بعض المصالح الإستراتيجية. لذا، لم تستطع أوروبا أن تقوم بدور الشريك الاقتصادي لإيران. هنا لابد لنا أن نقول أن سقوط الاتحاد السوفيتي قد أدى إلى تفوق الغرب وزيادة قوته بشكل منفرد وقلل من الأهمية الإستراتيجية للعديد من الدول بما في ذلك تركيا وإيران بالنسبة للكتلة الغربية. كان هناك عاملان يجب العمل من خلالهما لتخطي هذا الموقف المعقد : الأول هو البراجماتية والمرونة والثاني هووجود مجموعة قديرة ومحترفة من العاملين في السلك الدبلوماسي. وكلاهما لم يكن موجوداً.

وفي الــوقت الــذي نؤكد فيه على أن الإقليمية هي عامل من عوامل الوقف الدولي، لابد لنا أن نضع في الاعتبار نقطتين متوازيــتين، الأولى هي القوى الإقليمية المنافسة ومـواطن التـأثير الحقيقية والمتوقعـة. ومـواطن التأثير هذه قد تكون اقتصادية أو سياسية أو ثقافية. وفي بداية الثورة واجه الاقتصاد الإيراني العديد من المشـاكل، لـذا لم يكن من الممكن أن يصـبح عاملاً مؤثراً.

وفي المجال السياسي كانت إيران خلال فترة حكم الشاه وبمسـاندة القوة الأمريكية تستطيع أن ترتدي لباس قيادة منطقة الخليج (الفارسـي). ولفـترة بعد الثـورة، كـان لإيـران هـذا التـأثير في المنطقـة. ولأن الثـورة الإسلامية كانت بالأساس ثقافية فقد كان من المتوقع أن تنحو هـذا النحـو. كانت الأداة المتوقعة في هذا السياق هي أولاً الثقافة الوطنية التي امتدت من الشرق إلى الشمال الشـرقي. مثل وسط آسـيا، وثانيـاً العقيـدة الـتي تضم العـالم الإسـلامي كلـه. لكن الخلافـات بين السـنة والشـيعة لم تكن بالشـيء البسـيط الـذي يمكن حلـه. لـذا، كـان التـأثير العقائـدي لإيـران ذا طبيعة ثنائية لكن الطريق لم يكن مسدوداً باتجاه التأثير الثقافي في وسط آسيا. في هذا الـوقت لم يكن لـدى إيـران أية نظـرة ثاقبة وفضـلت العمل باستخدام الإسلام. هنا أيضاً، ظهر الخلاف بين السنة والشيعة وبالطبع كان من المتوقع أن تضع الحكومـــــات العلمانية العراقيل في وجه التـــــأثير الإيراني. بالإضافة إلى ذلـك، فقد واجهت إيـران المنافسـين الطبيعـيين لها مثل تركيا والمملكة السعودية وباكستان وقد ظهر نـوع من تقسـيم العمل فيما بينهم؟! حيث اهتمت تركيا بأســـواق المنطقــــة، واهتم الســـعوديون بالتـأثيرات الدينية ونشر المـذهب الوهـابي؟؟!! في حين ركـزت باكسـتان على القوة العسكرية. كل هذه التطـورات ظهـرت لأن طهـران كـان عليها أن تدعم، واقعياً، موقفها كحكومة وأمة وعندما تصل إلى مرحلة التجـانس الداخلي وتمتلك أدواتها الدبلوماسية والاقتصاد القوي، كان يمكنها حينئذ أن تمارس تأثيرها وأن تقـوم بـدورها. كـان من الأهمية بمكـان أن يتأكد موقع إيران في السياسة الدولية أولاً. لقد حصلت تركيا على الكثـير من تنازلاتها وربما خضـوعها للولايـات المتحـدة وإسـرائيل في حين لم تجن إيـران أي شئ من استقلالها. هـذه الحقيقة توضح أن اللجـوء إلى طـرق الصـراع قد تكون مكلفة، لذا على المرء أن يحاول مرة أخرى.

3-السياسة الخارجية الإيرانية منذ الثورة وحتى 1997 :

أ-الإطار النظري:

تشكلت الثورة الإسلامية في إطار اعتقاد بأن الثـورة سـتجتاح العـالم الإسـلامي بأسـره. لـذا، فـإن إيـران يمكنها أن تقـود العـالم الإسـلامي أو المستضـعفين في العـالم لتضع نهاية للنظـام القـائم على الظلم والاحتلال والاسـتغلال والامبرياليـة. وقد اعتمـدت في ذلك على اسـتراتيجية لم يكن للقوى العظمى أن تتبعها, وفي السابق قام نابليون بونابرت وأدولف هتلر, اللذان لم يروقهما النظام القائم في ذلك الـوقت بوضع سياسـيات خارجية ثورية, وكان مقدراً لهما الفشل الذريع.

إن الفــرق بين بونــابرت وإيــران الإســلامية يتضح في حقيقة أن كلاً منهما تحرك في إطار طموحاته, حيث اعتبرت إيران نفسها حاميــاً للعدالة وبالتــالي انطلقت موجة عارمة من الــدعم على المســتوى الــدولي, لكن الإيرانيين لم يدركوا أن القوى العظمى سوف تقــود حملة إعلامية مناهضة لإيــران, لم تســتطع آلية العلاقــات العامة الإيرانية أن تواجههــا, لقد عملت إيـــران على أن تقـــود حركة دولية لنصـــرة المستضـــعفين في مواجهة المستكبرين, كان عليها أن تسرع بالاستجابة لكل مسلمي العــالم وأن تمد يد العون والصــداقة لكل الحكومــات الثورية في العــالم الإســلامي وتــدعم الجماهير التي تعمل على الإطاحة بالأنظمة الفاسدة.

وهكذا, انقسمت الــدول إلى قســمين : الأول, المســتكبرون والثــاني: المستضعفون.

مجموعة المستكبرين تنقسم بدورها إلى قســمين : الأول يتكــون من الــدول الــتي لا تعمل على القضــاء على الإســلام والثــورة الإســلامية مثل السويد وسويسرا والتي من الممكن لإيــران أن تقيم معها علاقــات جيــدة, أما الثاني, فهو يتكون من المجموعة التي تعمل على القضاء على الإســلام مثل أمريكا وبريطانيا, وبالتالي فسوف تناصبهم إيران العداء, لكن الحقيقة كانت شيئاً آخــر, فعنــدما فرضت الولايــات المتحــدة العقوبــات الاقتصــادية على إيران, لم تعرها أي من الدول المستكبرة اهتماماً, في حين أن الدول المستضــعفة من غــير الــدول الإســلامية مثل دول أمريكا اللاتينيــة, لم تهتم بكل المقولات الانســانية الــتي تشــدقت بها طهــران, أما الــدول الإســلامية فكانت من أولى الدول التي ناصبت إيران العداء.

فالعراق الدولة المسلمة هاجمت إيــران بــدعم من كل الــدول العربية فيما عدا ســوريا وليبيــا, وعلى الــرغم من أن نظرية المستضــعفين لم تكن سوى سراب, وأن الحرب العراقية الإيرانية قد أضعفت المشــاعر الوطنية فــإن السياسة الرســمية بقيت متمســكة بنفس الأســطورة, إن الرغبة في الإطاحة بالنظم الفاسدة قد أدت إلى وحدة هذه النظم في مواجهة إيران, ثم كانت الجهود العقيمة لتحرير القدس على رأس الأولويات التي تحــولت من خلالها إيران إلى كبش فداء حتى يحصل البعض على قدر من التنازلات من الولايــات المتحــدة, الأكــثر من ذلك امتلكت دول المنطقة الأســلحة الحديثة في حين عوقبت إيران بالحظر حتى تتوقف برامج تطوير الإقتصــاد والصناعة.

ب-التأثيرات الحقيقية :

كنتيجة لهــذه التوجهــات فقــدت إيــران قواعــدها التقليدية والثقافيــة, فالهند التي كان من الممكن أن تكون حليفاً قوياً أصــبحت عــدواً حساســاً, أما باكســتان وهي دولة غــير مســتقرة بــدون أية هويــة, فقد نعمت بــدعم إيران, وبعد عشرين عاماً, كانت النتيجة المتوقعة هي زيادة نفوذ السعودية في باكستان ومواقف في غاية الوحشية تجاه الشــيعة وقتل للدبلوماســيين الإيرانيين في هذا البلــد, هــذا بالإضــافة إلى مناهضة المصــالح الإيرانية في أفغانستان, لقد كانت باكستان هي الدولة التي ساعدت طالبان على توليها الســـلطة في أفغانســـتان, وكـــانت السياسة الإيرانية الـــتي تـــوافقت مع

الراصد

الموقف الإيراني المهين في طاجيكستان ودول أخرى في وسط آسـيا, قد ساعدت على فتور العلاقات مع هذه الدول وفتح الطريق للنفوذ الاقتصادي والثقافي التركي.

أما على المستوى الدولي, فقد واصلت إيران سياستها العدائية تجـاه الولايات المتحدة, الأمر الذي جاء في صـالح إسـرائيل وتركيا ودولاً أخـرى كثـيرة, كـانت تركيا قد فقـدت أهميتها الإسـتراتيجية بعد انهيـار الاتحـاد السـوفييتي, وفي بحثها عن موقع جديد تسـتطيع من خلاله أن تحصل على دعم أمريكـا, حـاولت أنقـرة ملء الفـراغ الـذي خلفته إيـران, ووضـعت قواعدها العسكرية تحت إمرة الولايات المتحدة وربحت من ذلك الكثير.

اما إسرائيل, فتحت دعاوى الخوف على نفسها من إيران, واستطاعت ان تسلح نفسها بأحدث نظم الأسلحة التي تستطيع اسـتيعابها, في الـوقت ذاته قام السعوديون والخليجيون بدعم علاقاتهم مع الغرب, وأصـبحت دبي وأبو ظـبي اليـوم تبتلعـان رؤوس الأمـوال الإيرانية حيث يـذهب الإيرانيـون لشراء سلع غربية بأسعار مضاعفة.

وبعد سنوات الحرب حاولت إيران في صراعها مع أمريكا أن تسـتفيد من علاقتها بأوروبـا, لكنها نسـيت أنه على الـرغم من الصـراع القـائم بين أوروبا وأمريكـا, إلا أن الأولى لا تسـتطيع أن تتحـرك باسـتقلالية كاملة عن الولايـات المتحـدة, فقد كـانت العلاقـات بين دول مثل ألمانيا وإيطاليا قد نمت في إطـار المسـموح به أمريكيـاً, أما روسـيا واليابـان والصـين فهم لا يستطيعون مقاومة الإغراءات أو التهديدات الأمريكية, وكان من نتائج هـذه التوجهـات في عصر العولمـة, أن خـرجت إيـران باقتصـاد ضـعيف, خالية الوفـاض, فليس باسـتطاعتها أن تقـاوم الصـراعات الدولية وليست قـادرة على ممارسة نفوذها داخلياً ضد الآثار المترتبة على العولمة.

الحل الوحيد لمشاكل الإيرانيين سواء الداخلية أو الخارجية هو العودة إلى منطق المصـالح الوطنية والأمة الموحـدة, إن قـادة إيـران عليهم أن يدركوا أن مصدر قـوتهم يقبع في إيـران نفسـها, فكلما توحـدت وتـدعمت أواصر المجتمع الإيـراني كلما ازداد النفـوذ الوطـني, إن الوحـدة الوطنية واتخاذ مواقف في إطار المصالح الوطنية سيحمي الدولة.

ويـرى مايكل إيشنسـتاد أن التحـدي الـذي يواجه السياسة الخارجية الإيرانية هو الصـراع بين القومية الإسـلامية والإسـلام الـدولي من ناحيـة, والقومية الإيرانية من ناحية أخـرى لكنـني أعتقد أن هـذا الصـراع يمكن تخطيه بقبول مبدأ الأولويات.

الراصد

4-ما الذي تمليه الحقائق :

في بعض مراحل العمر قد ينحو بعض النــاس باتجــاه اتخــاذ مواقف متطرفة, لكننا لا نـدري إن كـان ذلك سيصل بهم إلى بر الأمـان, فلم ينسَ الناس بعد, جمال عبد الناصر وشعاراته الطموحة, لكننا نذكر أيضاً ديجول, الذي عندما فشل في الحصـول على قنبلة نوويـة, فكر في المشـاركة في

قيادة العالم الحر مع الولايات المتحدة, وفيما بعد, قبل جورج بومبيدو القيادة الأمريكية وساعد في العمل من أجل بناء السوق الأوروبية المشتركة باعتبارها وحدة مستقلة عن فرنسا.

فإذا استطاع الفرد أن يحسب نقاط قوته ونقاط ضعفه, فإنه سيرتكب القليل من الأخطاء, من هذه الزاوية فإن إيران تعد بلداً غنياً ثقافياً وتاريخياً ولديها حكومة وطنية مستقلة, هذه العناصر ستؤدي إلى دعم الهيمنة الوطنية, وإيجاد استقرار اجتماعي وثقافي ومكانة سياسية موجهة, إن إيران تملك أرضاً شاسعة وموارد غنية وموقعاً استراتيجياً يمكن من خلاله أن تصل إلى موقف سياسي محسوب و رؤية أوسع لاتخاذ موقع أفضل كقوة إقليمية مقارنة بدول مثل تركيا والسعودية وباكستان, لذا فإن إيران لا بد لها أن تعمل من أجل الوصول إلى أهدافها, مثل هذه السياسة تستدعي تأكيد إيران على نفوذها الثقافي والاقتصادي والسياسي كل على حدة, فحتى عام 1970 كانت كل الأبواب مغلقة في وجه سياسة إيرانية فاعلة, ففي الشمال قامت الستارة الحديدية وفي الجنوب كانت بريطانيا تقود دول الخليج (الفارسي), كما كانت مواقف العراق وأفغانستان غير واضحة, المجال الوحيد الذي كان متاحاً من خلال تركيا وباكستان وكلاهما كان موالياً للغرب.

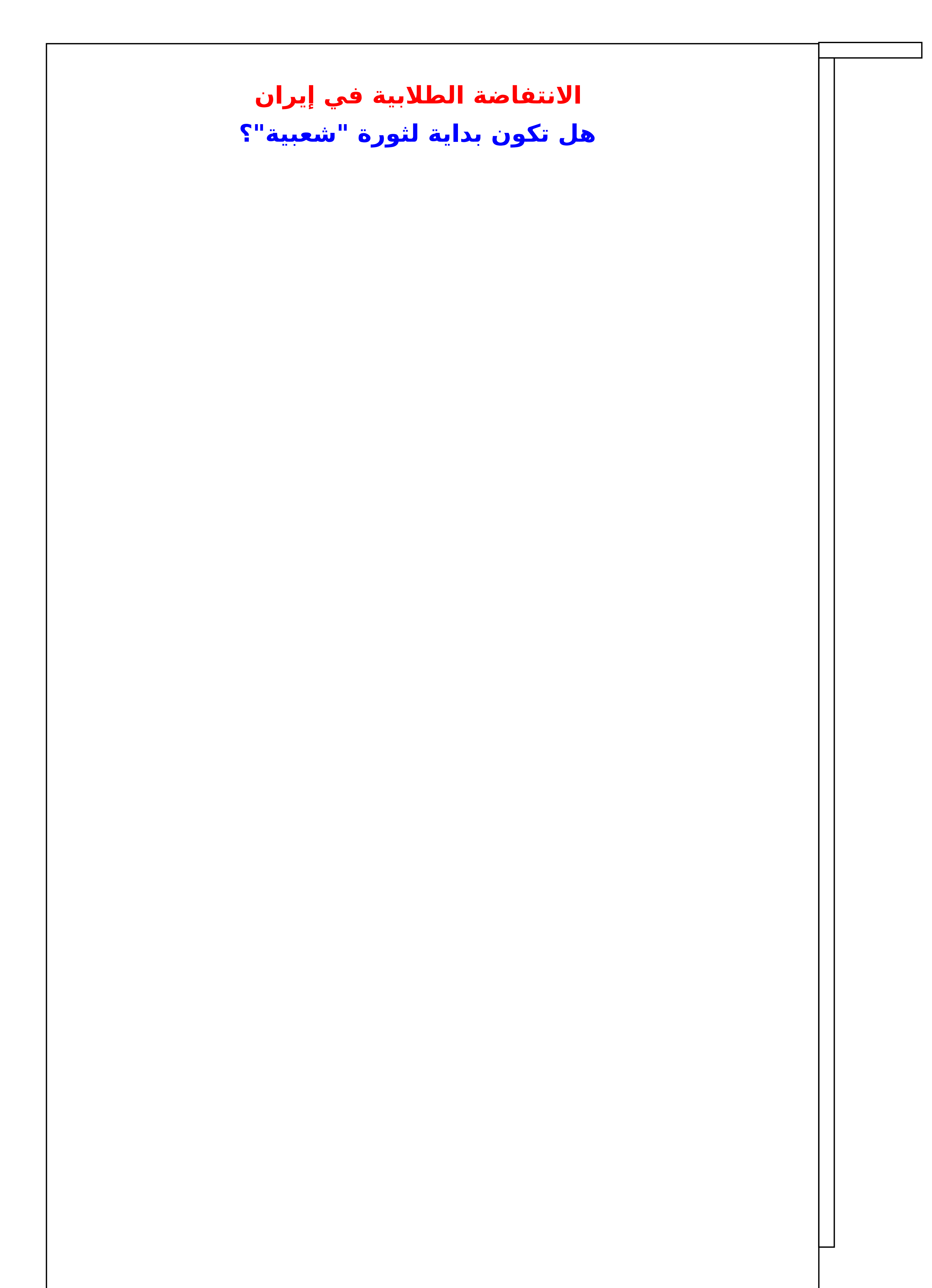
وقد أفسح رحيل بريطانيا المجال أمام النفوذ الإيراني العسكري والسياسي في الخليج (الفارسي) لكن قوة منافسة ظهرت وهي الناصرية التي اعتمدت على القومية العربية واتخذت موقفاً معادياً لإيران, وكانت استعادة العلاقات الدبلوماسية بعد وفاة عبد الناصر, قد ساعد في تخطي أزمة عنق الزجاجة بين الدولتين إلى حد ما, لكن أنظمة يسارية مثل تلك التي قامت في اليمن الجنوبي والبعث في العراق, كانت لا تزال قائمة, ومن جانب آخر كان هناك نوع من المنافسة الخفية بين إيران والسعودية أدت إلى نوع من تقسيم العمل, هذا التقسيم كان مطلوباً لتخفيف حدة التوتر, فقد كانت العلاقات بين إيران والعرب متوترة لقرون طويلة, وكان هناك تنافس – لا زال قائما – حول قيادة المنطقة بين الرياض ودمشق والقاهرة وبغداد, كما لا تزال هناك مشاكل حدودية وصراعات سياسية لا تسمح لطرف ثالث باتباع سياسة محددة ومستقرة فيما يتعلق بالعالم العربي.

وهناك منطقة أخرى في ذات الأهمية وهي وسط آسيا, كان على إيران أن تنظر بجدية أكبر إلى مشاكل وسط آسيا, فهذه المنطقة تعد الساحة الطبيعية للنفوذ الثقافي الإيراني, وإن لم تعمل إيران بشكل متوازن فسوف تسقط المنطقة في أيدي أعداء أشداء, وقد كانت حكومة طالبان في أفغانستان نموذجاً لمثل هذه الأخطاء التي ارتكبتها إيران, ويعد هذا النموذج حقيقياً خاصة أن إيران محاطة بعدد من الأنظمة غير المستقرة مثل باكستان والعراق, وعلى إيران ألا تسمح لهم بمد نفوذهم إلى مناطق مثل آسيا الوسطى والقوقاز, إن جماعات القومية التركية تعد قوية وفاعلة في تركيا وتعمل على جذب المؤيدين من بين إيران وأذربيجان, بالإضافة إلى ذلك فإن التركيبة العملية لتركيا تفرض مخاطر شديدة باتجاه إيران فالأتراك يعانون أزمة هوية منذ انهيار الإمبراطورية

الراصد

العثمانية, فهم مترددون لا يعرفون إن كان عليهم الاتحـاد مع الغـرب أو مع العالم الإسلامي أو يميلون مع القومية التركية, إن دخولهم الناتو وتحالفهم مع إسرائيل قد يغريهم باللجوء إلى القوة للخروج من هـذا المـأزق, ويبـدو أن باكستان تمر بنفس المأزق.

في مثل هـذه الحـالات يتعين على إيـران أن تتعامل مع قـوى أخـرى خارج المنطقة, وهناك شـائعات كثـيرة حـول التحـالف الإيـراني بين إيـران والهنـــد, والصـــين وروســـيا, والحل الآخر الـــذي اقترحه البعض هو دعم الموقف الأوروبي في مواجهة أمريكـــا, فـــإذا ما تحالفنا معهم, فـــإن ذلك سيخلق نوعاً من الرابطة العضوية يمكن أن تحقق مصالحنا جميعاً.



الانتفاضة الطلابية في إيران

هل تكون بداية لثورة "شعبية"؟

يزيد المتوكل[1]

هذا المقال يـبين جانبـاً من الوضع الـداخلي في إيـران, ويوضح القمع الـذي يُمـارَس باسم الـدين ضد الشـعب الـذي انخـدع بشـعارات الثـورة الخمينية, إلا أن المقال –برغم ما احتواه من معلومـات عن القمع والظلم- يسـير وراء الـرأي السـائد بوجـود معسـكرين في إيـران أحـدهما إصـلاحي معتدل والآخر محافظ متشدد, في الوقت الذي يـرى آخـرون أن الجنـاحين المشار إليهما هما وجهان لعملة واحدة.

الانتفاضة الطلابية المفاجئة التي عمت الشـارع الإيـراني في منتصف حزيـران/ يونيو 2003, كـانت أضـخم بكثـير وأشد خطـورة على النظـام القائم, بما فيه رئاسة محمد خـاتمي المعتدلـة, من تظـاهرات تمـوز/ يوليو 1999 الـتي خلخلت جـدار التشـدد وأحـدثت فيه ثغـرات واسـعة وعميقـة, اسـتطاع الاصـلاحيون النفـاذ منها لتسـلم مقاليد الحكم الظاهريـة, فيما اسـتمر في حقيقته واقعـاً تحت رحى جماعـات قم والمـدارس الدينية المتشـددة الـتي تـرفض إدخـال أي إصـلاحات على مفاهيمها القديمـة, في الوقت الـذي يشـهد العـالم أجمع انفتاحية جذرية في أسـلوب وممارسـات الحكم.

الطلاب في إيران؟

يمثّل الطلاب في إيـران منذ 1979 قـوة فاعلة كـبرى, تـدعم اليـوم الرئيس محمد خاتمي. لكنهم يزدادون إحباطـاً, مع الأيـام, نظـراً إلى تعـثر الاصـلاحات وتصـفية المثقفين, على أيـدي المتطـرفين الـدينيين من دون محاسبة, وغيـاب الوظـائف للخـريجين, الأمر الـذي نشر البطالة في البلاد, بشكل غير مسبوق. ويتهم الطلابُ المحـافظين في أجهـزة الأمن والقضـاء ومجلس الشورى بممارسة الضغوط والعنـف, لفـرض السـيطرة الصـارمة على الجامعات والمؤسسات والحياة, وأكد مدافعون عن حقوق الإنسـان.. أن عشرات من الطلبة أعدموا بلا رحمة, في غير مناسبة وبدون محاكمة.

ملاحقات مستمرة!

يلاحق أفــراد "الباســيج".. وهم متشــددون, الطلاب في جامعــاتهم, ويعملــون باســتمرار على جــذب الإصـلاحيين إلى صـفوف المحـافظين, مستخدمين التهديد حيناً, والإغراءات أحياناً. وبدا المجتمع الإيراني منقسماً على ذاته, في كل المجـالات: من سـاحة الطلاب, إلى عنـابر القضـاء, إلى حـوزات الـدين, ووسـائل الإعلام, وغيرهـا. وكثـيراً ما تهـاجم الميليشـيات الإسلامية تجمعـات الطلاب, الـتي تنـادي "ليرحل المتطرفـون من إيـران" وهـدد خـامنئي" الإصـلاحيين بـاللجوء إلى القـوة المفرطة لمواجهة التـوتر المتزايد في الجامعــات, الــذي بــدأ رداً على حكم الإعـدام بحق المثقف الاصــلاحي "هاشــمي آغاجــاري", وقد أُعيد النظر في هــذا الحكم, تحت الضغط الطلابي العارم.

---

[1] (?) مجلة الشريعة (الأردن) أغسطس 2003 – العدد 452.

الراصد

النفق المظلم

رئيس الميليشيا "الباسيج" قال: إنه سيملأ الشوارع بالملايين من العناصر المتطرفة, ورد الإصلاحيون, على لسان جاسم شهيد زادة: "إذا كانت المسألة إنزال الشعب إلى الشارع, فنحن أيضاً قادرون على القيام بذلك".

ومن عادة الطلاب الثائرين على (الثورة الخمينية) أن يرددوا: "الموت للطغيان" و"إيران أصبحت فلسطين". وغالباً ما يهاجمون السلطة القضائية, والرئيس السابق "رفسنجاني". وذهب بهم اليأس إلى حد مطالبة "خاتمي" بالاستقالة, بعد سلسلة إخفاقات في تعديل القوانين لمزيد من الديمقراطية, أو في الحد من تأثير الميليشيات المتزمتة, والتي وصفها أحد الإصلاحيين بـ "المافيات السرية".

الحرية أو الموت

طالما هتف الطلاب, وهم يُقاومون "أنصار حزب الله" و"الحرس الثوري" والأشباح الأخرى: "الحرية أو الموت", ولحظ عبد الله نوري (رئيس المجلس البلدي في طهران) أن المحافظين, ومنذ انتخاب "خاتمي" وهم يمارسون أعمال العنف ضد تجمعات الطلاب, وضد شخصيات تمثل الأفكار الجديدة.. الحوارية المنفتحة وتوجه الطلاب إلى "خامنئي" مرشد الجمهورية, بمجموعة أسئلة تشكك في سلطته, وأرسل الإصلاحيون رسائل يحذرون فيها من "ثورة جديدة" ويدعون المسؤول الأول في النظام إلى لجم الأصوليين, ومحاولة فهم التهديدات الأميركية الجدية, بعد الحرب على العراق. وكانت ردات الفعل مزيداً من التشدد والتوعد, سواء بالنسبة إلى إصلاحيي الداخل, أو بالنسبة إلى المتغيرات الدولية والإقليمية!

الراصد

استقالات احتجاجية

كرر الطلاب المتظاهرون, وهم يحملون صور الرئيس خاتمي: "أنصار حزب الله ارتكبوا جرائم والمرشد يؤيدهم". ومعروف أن رئيس جامعة طهران, ومدراء 18 كلية في الجامعة, كانوا قد قدموا استقالاتهم احتجاجاً على القمع الذي تعرض له الطلاب في طهران ومشهد وأصفهان وتبريز وغيلان, وغيرها.

ومن عادة "الباسيج" تكرير ما يقوله "طالبانيو إيران" عن كون الانفتاح والحوار, بإزاء الغرب, يعنيان الإرتهان للخارج, وعلى الثورة (الإسلامية!) أن تتخلص من أعداء الداخل الراغبين إلى تغيير في مسارات الثورة (الخمينية). ومن هنا العبثية الإيرانية واستحالة تحقيق الإنجازات والإصلاحات داخل الدولة والنظام, خصوصاً بعد الحملة الشرسة التي شنها التيار المحافظ لإسقاط مشروع قانون تحديد صلاحيات رئيس الجمهورية الدستورية, وتعديل قانون الانتخابات.

نظرية المؤامرة!

إن أبرز ما شغل الطلاب, منذ عـامين, تمثل في الأمـور التاليـة: عمل مراكز القوى غير المُنتخبة, أهلية النظام وإمكـان إصـلاحه تغيـير الدسـتور, العلاقة مع أمريكا, النظام السياسي المطلوب.

ولكن, كل اجتهاد فكري, إصلاحي, عقلاني, خارج حدود رجـال الـدين, يوصم بأنه حركة "مخدوعة من قبل أمريكـا" وقد شـكا "رفسـنجاني" في إحدى خطبه, من الإفراط في الأسئلة, التي يطرحها الشباب, لشعوره بأن النظام لا يملك دائمـاً أجوبة عليهـا! وفي إيـران اليـوم فئـات طلابية ثلاث: أولى تقبل بالسلطة الدينية وتؤمن بولاية الفقيه وبالنظام السياسي القائم, وثانية لا تعترف بالنظـام, وثالثة إصـلاحية تنتقد السـلطة السياسـية وتتطلع إلى مستقبل علماني.

ما بين الأمس واليوم

لقد كان شـعار رفض الأجنـبي هو السـائد بين الطلبـة, عنـدما احتلـوا السـفارة الأميركية في طهــران, لكن سـرعان ما صـدموا عنــدما غيّـرت السلطة سياستها الخارجية, حيال الغرب, ودول على علاقة متينة بالولايات المتحــدة, وعنــدما نشأ حــوار بين إيــران وأمريكــا, ونما كثـيراً, في السر خصوصاً, بعد سقوط (طالبان) في أفغانستان.

وتضم الفئة المتعاطفة مع النظـــام الـــديني: "الجامعة الإســـلامية للطلبة", "الجمعيات الإسلامية للطلبة الجامعيين", "الباسـيج الطلـبي", أما الـذين لا يعـترفون بالنظـام السياسي فمعظمهم من المثقفين المنفصـلين عن نظـام الجمهورية الإسـلامية, إضـافة إلى القــوى الطلابية الجديــدة المنتمية إلى الأوســاط الفكرية والثقافيــة, العلمانية والإســلامية ويضم القسم الثـــالث الطلبة الجـــامعيين العـــاملين تحت شـــعار الديمقراطية والحرية, ويُعرفون بتيار الثاني من خرداد (وخرداد هو الشهر الإيراني الذي انتخب فيه "خاتمي" للرئاسة الأولى عـام 1997) ويطـالب هـؤلاء بـإطلاق السجناء, وحرية التعبير, وبحرية المطبوعات, ويريـدون حريـاتهم الثقافيـة, وحق الاجتماع وإلقاء المحاضرات وممارسة النشـاطات الفكرية مهما كـان لونهـا, كما ألحّــوا دائمــاً على حظر دخــول قــوى الأمن إلى الجامعــات, والسماح للطلاب بالتحرك في مجالات السياسية والاجتماع.

مجابهة.. مجابهة...

غالباً ما اتبع الإصلاحيون الطرق القانونية في عــرض مطـالبهم لكنهم جوبهــوا دائمــاً بــالقمع من جــانب الميلشـيات وأجهـزة الأمن والقــوات الحكومية المتمركزة في الجامعات وآخرها كان هجوم 1999, ثم تكرر في غير مناسبة, وبدا أن الزمان لم يعمل لصالحهم بعد الحرب على الإرهــاب, واعتبار إيران محوراً للشر, وتهديد "خـامنئي" بإقصـاء مسـؤولين يـدعمون الليبرالــيين ويشــجعون الانفتــاح على الأمريكــيين, أضِـف أن المحــافظين نجحــوا في شق مكتب تعزيز الوحــدة (المؤسسة الطلابيــة), وفي زعزعة التوافق الــداخلي فيــه, وبالتــالي اختراقــه, والتمكن من الفــوز في مدينة شـيراز (جنـوب إيـران), حيث انسـحب الإصـلاحيون ومع أن وزير العلــوم والبحث والإبـداع, اعـترف بقيـادة التيـار الإصـلاحي للحركة الطلابيـة, فـإن

الراص

التيار المحافظ يملك السلاح والقوة, في مقابل الكلمة الحرة الـتي يملكها الآخرون.

تكميم الأفواه وكسر الأقلام

عنـدما حملت "الطروحـات الإصـلاحية" محمد خـاتمي إلى كرسي رئاسة الجمهوريـة, استبشر أربـاب الصـحافة وأصـحاب الفكـر, واعتـبروا "نجـاح" خـاتمي بمثابة الانتصـار للشـعب الإيـراني المتعطش للحرية والديمقراطية.

بيد أن أعضاء "جمعية الائتلاف الإسلامي" وهي جمعية دينيـة-سياسـية تحكم إيـران من وراء الكـواليس وتسـيطر على كل الجهـاز المتشـدد بمن فيهم المرشد "علي خامنئي" نفسه, شـمّروا عن سـواعدهم لصد أية ريـاح للحرية الفكرية يمكن أن تهب على إيـران, فعمـدوا إلى إغلاق العديد من الصحف ذات النهج الليبرالي وزجّـوا بكتّابها في السـجون, حـتى أن الحملة لم تـوفر صـحيفة "زان" الـتي تملكها النائبة فـائزة رفسـنجاني (الابنة الصـغرى للـرئيس السـابق هاشـمي رفسـنجاني), فلقد أغلقت الصـحيفة وقدمت نائبة طهران "فائزة رفسنجاني" للمحاكمة لأنها تجـرأت على نشر سطرين من رسالة وجهتها الأمبراطورة "فرح ديبـا" إلى الشـعب الإيـراني لمناسـبة رأس السـنة الإيرانية (في 21/4/1999), وفي هـذه الرسـالة عبّـرت "فـرح ديبـا" عن قناعتها بانتصـار الشـعب وخصوصـاً الشـباب الإيراني!!!

بل ونشـطت "ماكينـة" المحـافظين في محاولة تشـويه صـورة النائبة رفسنجاني, فقامت الصحف التابعة للتيار المتشـدد بالادعـاء, بـأن السـيدة "فائزة رفسنجاني" استغلت إحدى زياراتها للقاهرة للصلاة على قبر الشاه في مسجد الرفاعي! واضطرت ابنة رفسنجاني لتصحيح المعلومة مشـيرة إلى أنها لم تقم سوى بزيـارة للمسـجد الكبـير في القـاهرة ضـمن برنـامج رسمي.

هذا غيض من فيض مما نال أرباب الفكر وأصحاب الصحافة من جـور التيار المتشدد.

تأخذهم العزة بالإثم!

وعودة إلى موضوع "انتفاضة الطلبـة" وتـداعياتها, فقد أفـادت الأنبـاء بـأن قاضي طهـران "سـعيد مرتضـوي" نقل مكتبه إلى مقر اسـتخبارات السـلطة القضـائية داخل سـجن (آيفين), بعـدما كلفه مرشد الثـورة "علي خامنئي" بمعاملة الطلبة المحتجين على (حكم رجال الدين) بقسوة.

وكـان "مرتضـوي" قد عين قبل فـترة وجـيزة مـدعياً عامـاً لطهـران, وسط احتجـاج العشـرات من القضـاة الـذين يعتبرونه غـير مؤهل لتـولي منصب قضائي هام كهذا.

"مرتضـوي" انتقل إلى نفس الغرفة الـتي كـان يجلس فيها أسد الله لاجوري المدعي العام الثوري المعروف الذي أغتيل قبل أربعة أعـوام على أيدي حركة "مجاهدي خلق" انتقاماً لدوره في حملات الإعدام التي طـالت عشرة آلاف شخص بين العامين 1981-1989.

وفي خــرق للدســتور الإيــراني الــذي يلــزم القضــاء بــالإفراج عن المعتقلين بعد 24 ساعة من حبسهم, أو توجيه اتهـام محـدد إليهم بحضـور محـاميهم... أمر "مرتضـوي" بمواصـلة اعتقـال ما يزيد عن 390 طالبـاً ومتظاهراً ممن اعتقلوا خلال المظاهرات التي بدأت في طهران وتوسعت رقعتها ووصــلت إلى مدينة "قم" العاصــمة الدينية لإيــران ومركز الثــورة الخمينية قبل 25 عاماً.

ومما تجدر الإشـارة إليه بـأن سـكان مدينة (همـدان) يعيشـون أجـواء متوترة منذ أكثر من خمسة شهور, عقب صدور حكم إعدام الدكتور هاشم آغـاجري (المفكر والأسـتاذ الإسـلامي) بسـبب خطـاب ألقـاه للطلبة في (همــدان) أعلن فيه أن الشــعب الإيــراني ليس قــرداً كي يقلد من يعطي لنفسه لقب "مرجع التقليــد", وانطلقت المظــاهرات الصــاخبة في جامعة بوعلي, ردد خلالها الطلبة شعارات عنيفة المضمون ضد "الـولي الفقيـه".. أي "علي خامنئي" ورجال حكمـه, كما طـالبوا "محمد خـاتمي" بالاسـتقالة لــنزع "ورقة تــوت الشــرعية عن جسد النظــام المتعفن".. حسب إحــدى الشعارات.

وخلال انتفاضة الطلبــة, قـام حــوالي 150 من أنصــار "حــزب اللــه" مدعومين من قبل عناصر الفيلق الخاص (الكوماندوس) للحــرس الثـوري, بمهاجمة المجمع الســكني لطالبــات جامعة (تــبريز), وتعرضت الطالبــات لممارسات عنيفة.. حسب ما جـاء في كلمة النائبة "فاطمة حقيقت" أثنـاء الجلسة العلنية لمجلس الشورى الإسلامي (البرلمان), التي وصفت أعمال أنصار "حزب الله" بأنها كانت أسوأ من جرائم جنكيز خان وجيشه, وقــالت النائبة وسط ضجيج نفر من أعضـاء تكتل النـواب المحـافظين: "لقد شـرح لنا بعض الطلبة الأعمال الوحشية الـتي قـام بها بلطجية أنصـار حـزب الله والأوباش الذين كانوا يضربون الطلبة ويطعنـونهم بالسـكاكين ويـرددون: يا حسين يا زهراء... لنحول الجامعة إلى كربلاء!!!

التقية.. في السياسة

في وقت سابق من العام المنصرم 2002 عمدت إيـران –بحـذر- إلى المس بعقيـدة ولـدت مع ولادة الجمهورية نفسـها, إذ أعلنت رسـمياً أنها لا تعارض تعايش دولتين فلسطينية وإسرائيلية.. مدفوعة إلى ذلك بقلقها من أن تجد نفسها معزولة بفعل حرب ضد العراق.

لقد قــــال النــــاطق باسم الخارجية الإيرانية (يـــوم 16/10/2002): "نؤمن بدولة فلسـطينية ولكن إذا اتفق الفلسـطينيون والإسـرائيليون على حل آخر فلن نعـارض, بل سـنوافق على مشـاركة اليهـود الإسـرئيليين في تقرير مستقبل المنطقة".

إن هذا "التلـيين" في الموقف الإيـراني ليس هو الوحيد أو الأخـير فها هي طهران تتقزّم أمـام تهديـدات أمريكا الـتي سـبق ووصـفها "الخميـني" بالشيطان الأكبر, وقال بأنه تجرع السم عند قبوله قرارات الأمم المتحـدة بوقف الحرب ضد العراق, أفليس عجيباً –اليـوم- أن يصـبح شـرب السم – عند خلفاء الخميني- مثل شربة الماء.

في المقابل فإن الإدارة الأميركية تصف إيران بأنها أحد أضـلاع محـور الشر, ومخاوف أمريكا من إيران ترجع إلى أمور رئيسية ثلاث:

أولها الخوف على إسرائيل من المفاعل النـووي الإيـراني في منطقة "بوشهر", وثانيها تورط إيران في دعم جماعات عراقية "شـيعية" متطرفة لاستلاب الحكم وجعله صـورة عن مثيله في إيـران, وثالثها إيـواء جماعـات إسلامية متشددة تابعة لتنظيم "القاعدة".

الراصد

تصدير الثورة

لقد استبشر العـرب خـيراً في ثـورة 1979 الـتي أطـاحت بالشـاه, وتوقعـوا أن تبـني الجمهورية الإيرانية أحسن العلاقـات مع الـدول العربيـة, وانتظـروا بـادرة حسن نية في حل قضـية الجـزر الثلاث (طنب الكـبرى وطنب الصغرى وأبو موسى) بإعادتها لدولة الإمارات العربية المتحـدة, بعد

أن جرى اغتصابها في زمن العهد البائد[1], وكذلك معاملة العـرب "السـنة" في إقليم عربسـتان "الأحـواز" بالحسـنى إن لم نقل إعطـاء هـذا الإقليم المسلوب استقلاله.

بيد أن الحكـام الجـدد أبقـوا على التعسف الـذي كـان, وزادوا عليه التـدخل في شـؤون الـدول العربية ومحـاولات زعزعة الاسـتقرار فيهـا, لا سيما دول الخليج, من خلال ما عرف بشعار تصدير الثورة.

وإن الحديث في هذا المجـال يطـول ويطـول وينكأ الجـراح سـيما أن ذكرت الشواهد, وهي كثيرة, وقد انكوى بنار المخـابرات الإيرانية أكـثر من قطر عربي, وتعرضت تركيبته الاجتماعية للقلاقل والاضطرابات منهم.

واليـوم.. تتعـرض إيـران لحملة إعلامية قد تليها هجمة عسـكرية من قبل الولايـات المتحـدة والـدول الـتي سـتتحالف معهـا, فحـري بالجمهورية الإيرانية أن تتخلص من كل الـــذرائع الـــتي جعلتها في مـــرمى ســـهام الاتهامات.

الانفجار... آت

إنها حالة إيرانية قابلة للانفجار, ولا سـيما في أوسـاط الجيل الجديـد, الــذي لم يعد يثق بما قدمته (الثــورة) بعد سـقوط الشـاه, عـام 1979. فالجيل الأول أسقط الشاه, وأقام النظام الديني بواسطة العنف والسلاح, وجــاء الجيل الثــاني في ظل الحــرب العراقيــة-الإيرانية (1980-1988) وسط 270 ألف جثة و50 ألف جـريح في الجـانب الإيـراني, وهو مُحبـط, خائب, يائس. أما الجيل الثالث فيتراوح عمـره ما بين 16 و 30 سـنة, فهو نشأ وكبر في ظل نظـام حكم (الملالي), ويزيد عـدد المنتمين إليه عن 18 مليوناً, مليونـان في الجامعـات و4 ملايين لم يُكملـوا دراسـاتهم الجامعيـة, ومعظم هؤلاء لا يُحبّذ (ولاية الفقيـه) وليس معجبـاً برجـالات الـدين الـذين يديرون سياسة البلاد بشكل لا يتفق مع الديمقراطية.

ويقـول المراقبـون: إن الجيل الثـالث, هـذا, هو الـذي يقـرر مسـتقبل البلاد, وهو يُعاني اليوم.. البطالة والعزلة, ويرغب في الانفتـاح على العـالم الخارجي.

إن هذا الجيل لا يستعدي الـدين, لكنه غـير راغب في لعب دور الغنم. وهذا الأمر كان أشـار إليه الإصـلاحي "هاشم أغاجـاري" عنـدما نصح بعـدم السير وراء (الملالي) بشكل أعمى. وهـذا الجيل ينقل إيـران إلى مزيد من الليبرالية, وإلى أضعاف الثيوقراطيــة. ولكي يتم له ذلك لا بد من أن يواجه التطـرف بالحكمة والـوعي, مسـتفيداً من المتغـيرات الدولية والإقليميـة, فهل ينجح؟ أم أن التيـار المحافظ مقـدم على تطـبيق شـعار "عليّ وعلى أعدائي".. ومهما كانت النتائج؟

لقد نصح 163 نائبـاً, ومعهم أكـثر من مئة مثقـف, ومـدرس حـوزة, وصـحافي, وكـاتب.. نصـحوا مرشد الثـورة الإيـراني علي خـامنئي بـترك سياسة القمـع, واحـترام آراء الــ 20 مليـون الـذين انتخبـوا محمد خـاتمي

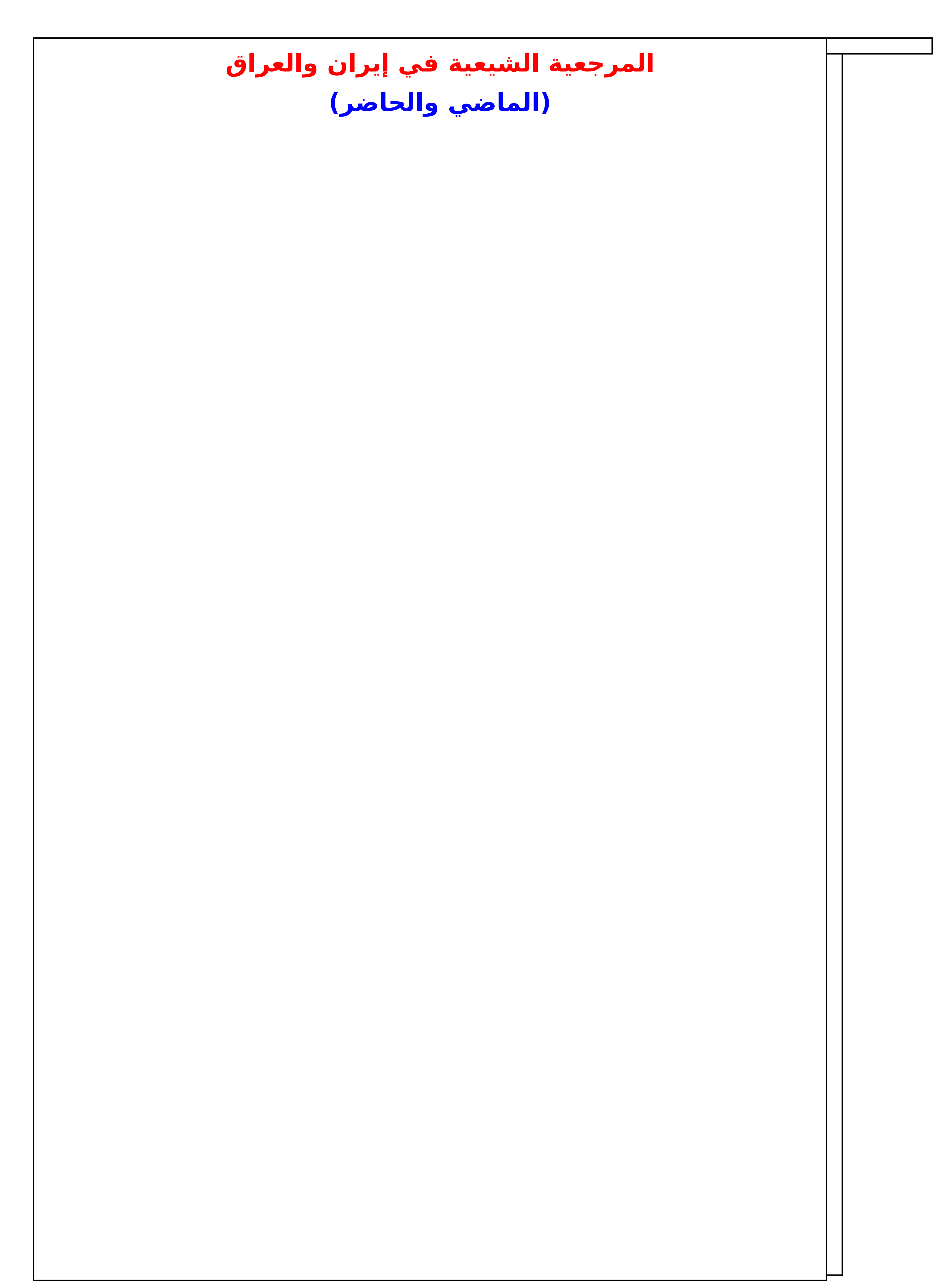
---

[1] (?) تم احتلال هذه الجزر وغيرها من الأراضي العربي سنة 1971, وأعادت إيــران في ظل الثورة احتلالها سنة 1992, وحتى الآن! –المحرر-.

والعمل على ردع الخطر الأمــيركي, باعتمـــاد نظـــام قـــائم على الحرية والديمقراطيــة, وحسن الجــوار مع الآخــرين بــدلاً من ســلبهم أراضــيهم وحقوقهم.

ولكن..... هل نقول يوماً: على نفسها جنت براقش؟!

الراص


المرجعية الشيعية في إيران والعراق
(الماضي والحاضر)

رسول جعفريان[1]

يلقي المقال الضوء على تطور المرجعية لدى الشيعة, والصراعات التي تنشب في إطارها بين الحين والآخر, ويعرض كاتب المقال –وهو شيعي إيراني- لعلاقة المراجع والحوزة بالأنظمة الحاكمة, وعلاقاتهم بالمواطنين, وكيف أنهم يلجأون إلى التلاعب بفتاواهم من أجل كسب المزيد من الأنصار.

وفي الجزء الأخير ينبه إلى الظروف الدولية الحالية التي تساعد على انتشار المد الشيعي, وضرورة الاستفادة منها لنشر المذهب الشيعي, وهو الأمر الذي ينبهنا إلى أن فكرة تصدير الثورة ما زالت حاضرة في وجدان الشيعة وفي تفكيرهم....................المحرر.

تعتبر المرجعية الدينية في إيران والعراق من القضايا التي حظيت باهتمام المفكرين والعلماء المسلمين. وحقيقة الأمر أن مذهب التشيع قد انتقل في القرن الأول والثاني من العراق إلى إيران, ففي القرن الثاني كانوا يطلقون على قم الكوفة الصغرى, وفيما بعد أصبحت قم رويداً رويداً مركزاً علمياً هاماً, وكانت مدينة الري هي المركز التالي, لكن ظهر مرة ثانية كبار مراجع الشيعة في بغداد ثم في النجف.

وقد جمع الشيخ الطوسي المتوفى عام 1039م والذي كان يعيش في البداية في العراق ثم انتقل إلى النجف شمل المرجعية الشيعية, فقد كان تلاميذه متفرقين في كل مكان, ثم تولى بعده ابنه أمر هذه المرجعية, وفي ذلك الوقت كان الشيعة الإيرانيون يذهبون للدراسة في النجف ثم يعودون إلى مدينة الرى, ومنها يتم ضخ الدماء الجديدة في جماهير الشيعة الإيرانيين, وقد كانت مدينة الرى واقعة تحت السيطرة العلمية لمدينة النجف وذلك حتى القرن الحادي عشر الميلادي.

وفي القرن الحادي عشر الميلادي عرفت رويداً رويداً مدينة الحلة كمركز للشيعة, ويرجع الفضل في تمتع الحلة بصفة المرجعية التقليدية للمحقق الحلي ثم خلفه العلامة الحلى, وقد كان للعلامة الحلي تلاميذه من الطلبة الإيرانيين الذين كانوا يروجون كتبه الفقهية في إيران, وهكذا ظلت مدينتا الحلة والنجف مركزاً للتشيع الفقهي حتى عصر الصفويين.

الصفويون والقاجاريون:

ومع بداية العصر الصفوي وهجرة الفقهاء العرب تدريجياً إلى إيران حظيت إيران بالمركزية الشيعية, لكن الأمر استغرق قرناً من الزمان حتى تحولت أصفهان إلى قاعدة للتشيع والمرجعية, وفي هذا الوقت لم تكن أهمية النجف تقارن بأهمية أصفهان.

---

[1] (?) مختارات إيرانية – العدد 37 اغسطس 2003 / نقلاً عن بازتاب (صدى) 8/7/2003.

وقد أدى انتهـاء العصر الصـفوي واضـطراب الأوضـاع في إيـران إلى انتقال المرجعية مـرة ثانية إلى العـراق, وكـان السـبب الرئيسي وراء هـذا الانتقال هو وجود العتبات المقدسة, وكان من الطبيعي أن تجتـذب العـراق الطلاب والعلماء.

وفي العصر القاجاري تم تقسيم المرجعية بين العراق وإيران, وحـتى عهد ميرزا شيرازي, كانت هنـاك إمكانية الاستفسـار الفقهي عن المرجعية المطلقة, لكن بعد ذلك أصبح من الصـعوبة بمكـان الحـديث عن المرجعية المطلقة, وكان المراجع المحليون موجـودين حـتى نهاية العصر القاجـاري. لكن على أية حال كانت المرجعية قد أصبحت متمركـزة في العـراق خلال العصر القاجاري, وربما لم يوجد مرجع ذا أهمية في إيران بعد مـيرزا قمي الـذي كـان فقيهـاً من الطـراز الأول وظل الأمر كـذلك حـتى عهد آية الله بروجردي.

وكان صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري وميرزا شيرازي ثم المرحـوم آخوند خراسـاني وسـيد أبو الحسن الأصـفهاني قد اسـتقر بهم المقـام في النجف, وكان يوجد عدد قليل من المراجع المحليين في المدن الإيرانية.

واستمر هذا الأمر حتى بعد وفاة آية الله الأصفهاني إلى أن عـرف آية الله بروجـردى كمرجع في إيـران, وظل صـاحب المرجعية المطلقة حـتى عام 1340, وكان هذا بعد حوالي قرنين من الزمان على خـروج المرجعية من إيران, ويعد هذا الأمر تطوراً هاماً بالنسبة للأخيرة.

وبعد وفاة آية الله بروجردي, عمل الشـاه على أن يوجه الشـعب نحو آية الله حكيم الذي كان في العراق, وكان هناك في النجف مراجع آخـرون أيضـاً, لكن عمل عـدد من صـفوة الطلاب في قم على أن يحـافظوا على المرجعية كأداة لمواجهة الشاه في إيران.

الراصد

العرب والعجم:

وكان الجدل على أشـده في هـذه الفـترة بين العـرب والعجم, وكـان الشاه يعمل على إذكاء هذا الجدل, وأدى هذا الأمر إلى أن يصر الإيرانيـون على أن تكـون لهم مرجعية إيرانيـة, ومن المؤكد أنه بسـبب صـغر سن الأشخاص الإيرانيين الذين كانوا مرشحين للمرجعية لم يصل أحد منهم إلى حد المرجعية المطلقة, وكـانوا عـدداً كبـيراً إلى حد مـا, ولم يتهيأ المجـال للتركـيز على شـخص واحـد, وكـان كثـير من الشـعب يقلد مراجع النجـف, خاصة وأن أحد المراجع الـذي كـان مطروحـاً في هـذا الصـدد, أي آية الله الخـوئي كـان يقيم في النجف وهكـذا كـانت النجف تتمتع بأهمية خاصة لدرجة أن حلقة درس آية الله الخوئي كانت تضم عـدداً كبـيراً من الطلاب

والفضلاء, حتى أنه كـان يتصـور أنه أعلم من المراجع الموجـودين في قم, ومن المؤكد أن الطلاب كـانوا يلعبـون دائمـاً الـدور الأول في انتشـار المدارس الفقهية.

ومع بداية الثورة الإسلامية وتـولي الإمـام الخميـني منصب الزعامـة, ترسـخت مرجعيته بشـكل قـاطع في إيـران, لكن رجـال الـدين التقليـديين الذين كـانوا يمثلـون آية الله الخـوئي مع بعض المراجع المحلـيين, مع أنهم واقعـون تحت الضـغط, قد قـاوموا في كثـير من الأحـوال تلك التطـورات, وتشهد قوافل حج العشرة المباركة بعد الثورة أن 90% من الزائرين كانوا من مقلـدي الإمـام الخميـني, وفي هـذه الفـترة كـانت معارضة آية الله الخوئي بين الثوار واسعة النطاق وقد ظل الشـعب المتـأثر بـالثورة واقعـاً تحت هذا التأثير.

من المؤكد أن الحرب قد زادت من اتساع الهوة بين إيـران والعـراق, ومما لا شك فيه أن مقلـدي آية الله الخـوئي لم يعـيروا هـذه الهـوة أي اهتمام, لكن كان واضحاً أن هذه الهوة كانت آخذة في الازدياد.

جذور إيرانية:

وفي هذا الوقت حدث تطـور آخر في العـراق وهو أن المراجع الـذين كانوا في العراق كانوا بالأساس ذوي جذور إيرانية, وقد عمل حـزب البعث بعد آية الله الخـوئي على أن يقضي على المرجعية الإيرانية الـتي كـانت قائمة في العراق, وقدم مرجعاً عربياً يدعى سيد محمد باقر الصـدر وكـان يوجد معه مراجع آخـرون مرشـحون للمرجعية بعد آية الله الخـوئي من بينهم آية الله سـيد مرتضى بروجـردي, مـيرزا علي غـروي, بهشـتي, وسيستاني.

الخوئي والسيستاني:

وفي العقد الماضي توجه المقلـدون والأتبـاع التقليـديون لآية الله الخـوئي ومدرسة النجف إلى خليفتـه, أي آية الله سيسـتاني, وفي هـذا الوقت توفي آية الله كلبايكاني وآية الله آراكي اللذان كانا يعدان آخر حلقة في حلقـات المراجع الإيرانـيين بعد آية الله بروجـردي, وأصـبح الطريق ممهداً أمام المراجع التاليين, وقد طرح بعض هؤلاء المقلدين وبتوجيه عدد من رجـال الـدين التقليـديين الـذين كـانوا يريـدون أن تكـون المرجعية في داخل إيران, اسم سيد محمد روحاني تلميذ آية الله الخوئي الذي كان يقيم في قم, والواقع أنه في هـذا التـوقيت طـرح نـوع من الاختيـار بين إيـران والعراق, ومن المحتمل أنه كانت هناك أسـباب سياسـية لـذلك, ومع وفـاة سيد محمد روحاني توجه هؤلاء الأشخاص أيضاً إلى آية الله سيستاني.

ومما لا شك فيه أنه مع وفـاة آية الله كلبايكـاني وآية الله آراكي ولأنه لم يكن هناك مرجع قوي داخل إيـران فقد تهيأ السـبيل إلى حد ما لانتقـال المرجعية من إيران إلى العراق, وفي هذا الوقت ومع تقـديم ثمانية وجـوه مـرة واحـدة من جـانب جمعية مدرسي قم فقد حـدث ثـراء في المرجعية الداخلية خاصة وأن كل الأفراد كانوا معروفين في إيران.

وعلى الرغم من نشاط مكتب آية الله سيستاني في إيران واجتذابه عدداً من القوى المتدينة التقليدية فقد زاد تدريجياً عدد المقلدين لبعض المراجع في قم, وتوجه عدد كبير إلى آية الله تبريزي وخاصة آية الله فاضل وصافي الذين كان لهم وجود مشرف في الأعمال الثورية والحكومية, وتوجهوا أيضاً إلى آية الله مكارم. وإلى جانب المكانة التقليدية لهؤلاء المراجع, توجه عدد كبير من مؤيدي الثورة الإسلامية في الداخل والخارج إلى زعيم الثورة كمرجع لهم.

وقد ظل الوضع قائماً حتى احتلال العراق والقضاء على صدام, والأهم من كل هذا أن المرجعية المطلقة لم تتبلور لا من مراجع العراق ولا من مراجع إيران.

ثمة نقطة جديرة بالاهتمام في هذا الصدد, وهي أن النجف على مدى الثلاثين عاماً الماضية كانت تستفيد من ثرائها السابق, وكانت قد فقدت شخصين أو ثلاثة تقريباً من هذا الرصيد الذي كانت تملكه, والواقع أن الأشخاص الذين كانوا في مرتبة المرجعية كانوا قلة قليلة, ومن بين المراجع الأساسيين في العراق اليوم يمكن ذكر آية الله سيستاني وآية الله حائري وآية الله مدرسي, ومع هذه الحالة فإن مستقبل مرجعية النجف غير واضح, فعلى مستوى العلماء الفضلاء قتل عدد كبير وهاجر آخر إلى بلاد أخرى, بينما عاد عدد محدود من هؤلاء الذين خرجوا من العراق, وقد أصبح عدد الطلاب بسيطاً جداً, ووضح أنه لا يمكن بسهولة إعداد طلبة متميزين, وعقد الأمل على أن يخرج من بينهم مرجع, والواقع أن النجف تستطيع بمفردها ويجب أن تعتمد على ماضيها في أن تضع برنامجاً لإعادة بناء نفسها على مدى عقدين أو ثلاثة عقود من الزمان.

المكانة التقليدية للمرجعية الشيعية:

بلورت وطورت المرجعية الشيعية مكانتها في المجتمع الشيعي على مدى فترة من الزمان تصل إلى 1200 عام, وإذا لم نقف على حقيقة هذا التطور, فلن يكون بالإمكان الوصول إلى الجذور الأساسية لهذه المكانة أو التخطيط لها مستقبلاً.

الاجتهاد والمجتهد:

ربما يعد أهم منعطف في هذا الملف هو الرؤية التي تطرح بخصوص موضوع الاجتهاد والتقليد في الفقه الشيعي. وهذا الأمر على الرغم من أن له أصولاً في النص القرآني والأحاديث النبوية, لكن قام العلامة العلي المتوفى عام 1305 بوضع النظرية التي أصبحت أساساً للتطبيق, وطبقاً للضوابط التي وضعها تحول مفهوم الاجتهاد والمجتهد والذي كان على مدى عصور طويلة غير مستساغ إلى مفهوم مقدس, وكان من المتعين على المقلدين اتباعه.

لم تكن هذه التبعية في الجوانب العلمية فقط, بل إنها وطبقاً للمبادئ التي تم الاتفاق عليها فيما سبق بخصوص نيابة المجتهد عن الإمام المعصوم اتخذت الجانب الأكثر عملياً, النقطة الأهم تتمثل في أنه لا يجب

فقط على المقلد أن يتبع المجتهد بصفة عامة, بل إنه يجب أن يعمل بـرأي وعقيـدة المجتهـد, وقد أدى هـذا الأمر إلى أن تصـبح العلاقة بين المجتمع الشيعي والمجتهد أكثر قوة.

أما المنعطف الثـاني فهو التطـور الـذي حـدث في العصر الصـفوي, ففي بداية هذا العصر وضع المحقق الكـركي المتـوفى عـام 1519 أسسـاً جديدة لإحـداث تطـور في مكانة المرجعية الشـيعية في المجتمع الشـيعي وربما كـانت هـذه هي الخطــوة الأولى لبحث إقامة صــلاة الجمعة الــتي وطدت مكانة المجتهد كنائب عن إمام الزمان "ع" على مستوى المجتمـع, لأنه منذ القــدم كــان شــرط إقامة صــلاة الجمعة هو اســتئذان الإمــام المعصوم, وكان هذا الأمر في عهد الغيبة هو من اختصاص المجتهد.

وبالإضافة إلى المحقق الكركي الذي كـان يتبع مدرسة الحلة طـرحت مسـألة ضــرورة اتبـاع وتقليد المجتهد الحي من قبل فقهـاء مثل الشـهيد الثاني المتوفى عام 1544.

وفي نهاية العصر الصفوي تم استحداث لقب "مجتهد الزمـان" وكـان يستخدم بدلاً من آية الله العظمي, وكان المقصود به الشخص الذي ينـوب عن الإمـام. وفي العصر الصــفوي أيضــاً وبشــكل عملي تم وضع وتحديد المناصب الدينية بالنسبة للعلماء, وقد أصبحت هذه المكانة أكثر قوة.

عودة المرجعية إلى العراق:

وفي العصر النادري الأفشاري ومع الاضطرابات الـتي وقعت في هـذا العصر حدث تغيير في الأوضـاع الدينية الجارية في المجتمع الشـيعي, فقد تحــولت المرجعية من إيــران إلى العــراق, وتــرتب على ذلك أن انفصل واستقل المجتهدون عن الحكومة.

تمويل الحوزات:

النقطة الأهم هو أنه منذ ذلك الــوقت وما تلاه أصــبح مصــدر تمويل المجتهدين والطلبة لا يعتمد على الأوقاف, بل حل محلها وبشكل جاد سهم الإمام وكان هذا المصدر مستقلاً, قبل ذلك كان يتم تأمين دخل العلماء من الـدخل الـذي كـان يحصل عليه الصـفويون نتيجة لاسـتيلائهم على دخـول الأوقاف, وفي النصف الأول من العصر القاجـاري توقف هـذا الـدخل وحل محله بشكل فعلي سهم الإمام, ومنذ ذلك الـوقت والحـوزات العلمية تـدار من خلال ميزانية مستقلة ليس للحكومة أي نوع من السلطة عليها.

وفي نهاية العصر القاجـاري ومع كل هـذه العلاقـات الـتي كـانت بين المرجعية والحكومة كـان هنـاك مبـدأ هـام هو أن المرجعية ترتبط ارتباطـاً مباشراً بجماهير الشعب. من المؤكد أنه بسبب التعـارض الـذي حـدث بين مصــالح طبقــات الشــعب المختلفة وخاصة طبقة دافعي ســهم الإمــام والحكومة القاجارية التي تتحرك باتجاه منح الامتيازات للأجـانب, مما يـؤثر سلباً على الاقتصاد الوطني, اتسعت الهوة بين رجال الدين والحكومة.

وقد ازدادت هــذه الهــوة اتســاعاً مع بــدء تيــار الحداثة في المطالبة بالحياة النيابية, لأنه في هــذه المــرة لم تمنح الحكومة امتيـازات اقتصـادية

للـــدول الأجنبية فقـــط, بل إنها عملت على الـــترويج للعـــادات والتقاليد والثقافة الجديدة التي هي من وجهة نظر العلماء غير دينية.

ومن هنا كـان لجـوء رجـال الـدين إلى الشـعب قد اتخذ شـكلاً أكـثر وضـــوحاً, وفي المقابل لم يجد معارضو الحكومة والحداثة أيضـــاً ملجأ إلا رجال الـدين, ولم يكن هـؤلاء المعارضـون من بين المثقفين, بل كـانوا من بين عامة طبقات المجتمع والتجار الـذين كـان انفصـال أبنـائهم عن رجـال الدين يتزايد يوماً بعد يوم.

عهد رضا خان:

وكان عصر رضا خان هو قمة الانفصـال بين رجـال الـدين والحكومـة, فكان التشدد الذي يمارس مع رجـال الـدين سـببه المسـاوئ الـتي حـاقت برجال الدين على مدى فترة طويلة, ومن ناحية أخرى, أصبح الظلم الـذي جعل الطبقة المظلومة تنتفض وتحدث تغييراً وتطويراً في إيران في صالح هذه الطبقة بعد ذلك.

ومع ذهاب رضا خان أصبح هنـاك متنفسـاً, فـأعلن رجـال الـدين مـرة ثانية عن نشـاطهم, الأهم من كل هـذا أن المرجعية كـانت قد عـادت إلى إيـــران واســـتأنفت قم نشـــاطها, وتمكنت من الاســـتفادة من الإمكانـــات الجديـدة الموجـودة بين جيل الشـباب والـتي لم تسـتطع الحكومة البهلوية الاستفادة منها, وكان المثقفون غير الدينيين أيضاً قد عجـزوا إلى حد كبـير عن استغلال هذه الإمكانات.

وقد أدى فشل الـبرامج الإصـلاحية الغربية إلى تبلـور نـوع من الحركة المنادية بالعودة إلى الذات التي كان يتولى زعامتها أكـثر طبقـات المجتمع تقليدية وهم رجـال الـدين, وفي هـذه الفـترة تـواءمت المرجعية وإلى حد كبـير مع هـذه الأوضـاع. فرجـال الـدين هم الـذين كـانوا حلقة الوصل بين المرجعية والشعب ولعبوا دوراً أساسياً في هذا الصدد.

ومع انتصار الثورة الإسلامية فإن المرجعية التي كانت قد عملت على مـدى 37 عامـاً على اسـتعادة مكانتها حصـلت على هـذه المكانة بـدعم الشعب الذي تجاوز الحكومة البهلوية والتيارات التابعة لها, ومن المؤكد أنه مع طرح وجهات نظر جديدة ظهرت التحـديات الجديـدة الـتي لا زلنا حـتى اليوم نعمل للخلاص منها.

مكانة المرجعية بعد الثورة الإسلامية:

تكمن مشروعية المرجعية في كونها نيابة عن إمام الزمان ولم يحدث تغيير يذكر في هذا الأمر بعد الثورة.

والواقع أن كل الواجبـات والمهـام الـتي كـان ينهض بها المجتهد قبل الثورة من الممكن تصورها في المجتهدين الحـاليين, ومن المؤكد أنه على صعيد السلطة السياسية حدث تطـور أساسي مع بداية طـرح نظرية ولاية الفقيه حيث تقرر أن تصـبح السـلطة السياسـية تحت إمـرة مجتهد خـاص, وقد كانت هذه السلطة قبل وقوع الثورة تحت إمـرة السـلطان أو الشـاه, ومن المتوقع أن يحدث هذا الأمر تغييراً جذرياً في موضوع المرجعية.

إن الأمر المهم من وجهة نظر قاعدة المرجعية في المجتمع الشيعي, هو تعريف وتوضيح المشروعية الـتي طبقـاً للتوجيهـات الفقهية القديمة تم توزيعها بشكل عام بين كبار المجتهدين, وفي هـذا التعريف لم يسـلب منها امتلاك السلطة السياسية التي فيها جزء اقتصادي وهو جمع سـهم الإمـام, بل أصبح ينفذ فقط على أساس المبدأ الذي كان موجـوداً في القضـاء, أي عندما يصدر قاضٍ حكمـاً فليس من حق قـاضٍ آخر إصـدار حكم في نفس القضـية. فالولايةً السياسـية تكـون من حق المجتهد الـذي يعـاون الحكومة ويكــون مشــغولاً بــالحكم, ومع هــذا فــإن الفصل بين المرجعية الولائية والمرجعية الأساسية هو شديد الأهمية بالنسـبة للكثـيرين, وهو في اعتقـاد هؤلاء الأفراد يشبه الفصل السابق بين العرف والشـرع أو بين رجل الـدين والسلطان.

المرجعية بعد الثورة شهدت نماذج جديدة وتبلـورت هـذه النمـاذج في المقام الأول في الإمام الخميني الذي كان مجال رؤيته الفقهية أكثر رحابة مما كان في الماضي, وعندما كتب إلى أحد الفقهاء أن هـذا الأسـلوب في التفكير لا يكفي حـتى لإدارة قرية كـان يقصد أنه حـتى تبقى المرجعية في سـاحة إدارة الدولة فمن الضـروري أن تعمل على تطـوير آفاقها الفكريـة, وهذا الأمر من أكثر الأشياء بداهة والذي يجب الاعتراف به.

ويجب التأكيد على أنه بـالرغم من أن الولاية السياسـية قد انفصـلت إلى حد ما عن المرجعية, لكن على أية حال, لا زال هذا الفكر قائماً وبقوة في بنية النظـام الفقهي, ومفـاده أنه يجب على المرجعية العامة أن تجيب على الكثير من النقاط المتعلقة بأداء الحكومة والـتي تحتـاج إلى اسـتنباط فقهي, ففي الماضي كــــانت المرجعية تقتصر فقط على نقد قـــــرارات مجلس الشــورى الوطــني, لكنها لم تكن تــرى أنه لزامــاً عليها أن تقــدم البديل لهذه القرارات, وفي الوقت الحاضر يدور كثير من الأسـئلة الفقهية إلى حد ما حول إدارة شئون الدولة.

ويجب القول أن الشـعور باحتيـاج النظـام إلى وجهـات النظر الفقهية يتلاشى يومـاً بعد يـوم والسـبب في هـذا هو عـدم التوافق بين الخطـوات التنفيذية الـــتي تتخــذها الحكومة وبين القـــوانين الفقهية المدروسة في المحافل العلميـة, وهـذا الاختلاف سـببه الظـروف الـتي تبلـورت على إثر الهـوة الكائنة بين العـرف والشـرع في العصر البهلـوي, والواقع أن تخلف الفقه عن مواكبة القضايا المعاصـرة وذلك على مـدى فـترة طويلة قد زاد من اتساع هذه الهوة, كذلك أيضـاً سـاهم في اتسـاع هـذه الهـوة الاعتمـاد على العرف والتوجه الجمهـوري في الحكومة والـذي كـان يتزايد يومـاً بعد يوم.

النقطة الجـديرة بالملاحظة الآن هي أن كبـار مراجع التقليد يكتفـون بالمبــاحث التقليديــة, علاوة على رد فعلهم إزاء بعض الــرؤى الإصــلاحية, والذي يجعلهم يعودون إلى الوراء ولا يعيدون النظر فيما هو قائم.

التحديات التي تواجه المرجعية الشيعية داخل إيران:

من المســـائل الهامة بالنســـبة لفكـــرة المرجعية ارتباطها بالولاية والزعامــة, وقد دار الحــديث حولها قبل هــذا, ولم تكن هــذه المســألة

مطروحة قبل الثورة, لأنه في ذلك الوقت كان يتم اعتبار حكومة الشاه حكومة غاصبة, وبالنسبة للمتدينين فإن المشروعية تتأتى فقط من المراجع الدينية, لكن في الوقت الراهن ليس مطروحاً إطلاقاً اللقب السابق (الاغتصاب) على حكومة يديرها جماعة من رجال الدين, في مثل هذه الظروف ما العلاقة التي من الممكن أن تنشأ بين المرجعية والولاية؟

إن توافق ومسايرة رجال الدين للحكومة ليس بدرجة واحدة, فأحياناً يتبنى البعض موقفاً نقدياً, لكن هذا الاختلاف ليس له كبير أهمية, والمهم أيضاً أنه لا توجد أي نظرية لترسيم هذه الحدود, ولا تتجاوب النظريات السابقة مع هذه المسائل, وهي على الأكثر تحدد بعض حالات الاختلاف في الاتجاهات والنظريات حول القضايا الدينية أو المذهبية بين ولي الفقيه وبعض المراجع, حتى أن الأشخاص الذين لهم ولاء لهذه الحكومة ليست لهم نظرية محددة.

هل من الممكن أن تتحول المراجع الدينية إلى مراجع علمية, وأن تخرج من دائرة ولي أمر المسلمين؟ هذه المسألة من الصعوبة إبداء الرأي فيها, لكن مما لا شك فيه أنه حتى لو أمكن حدوث هذا الأمر داخل البلاد -وهو احتمال ضعيف- لا يمكن أن يتحقق بين الشيعة الذين يعيشون في أقليات خارج البلاد.

السؤال المثير للجدل على صعيد الحوزة يتعلق بدور المرجعية في إدارة الحوزة في الظروف الراهنة, في الواقع هناك نقطة هامة هي أن دخل المرجع الذي يستطيع إلى حد ما إدارة حوزة بهذه السعة ومساعدتها في النمو والتطور ليس كافياً, علاوة على أن قدرة المرجعية الإدارية على تنفيذ المهام التعليمية والإدارية ليست جديرة بالاهتمام. بالإضافة إلى ذلك فإن تعدد المراجع يحول دون المركزية في التعليم والتربية, الأمر الذي يعتبر ضرورياً جداً ولا يمكن اجتنابه في الظروف الحالية.

كل هذه القضايا أدت إلى خلق مركزية إدارية في الحوزة العلمية وإنشاء ممثليات لتأدية الخدمات للطلبة بدعم من المرجعية الولائية, وكان من الطبيعي أن يخرج هذا الأمر المرجعية من وضعها السابق ويجعلها محدودة.

التمويل الحكومي وانحسار نفوذ رجال الدين:

والواقع أن المراجع كانوا في الماضي المصدر الوحيد لتلبية احتياجات الطلاب من الناحية التعليمية ومن الناحية المالية, لكن اليوم أصبحت المبالغ التي تنفق على قسم الإدارة وقسم الخدمات بالحوزة ومن بينها التأمين على الطلاب وسائر الأقسام الأخرى تعادل عشرات أضعاف المبالغ التي كان المراجع يدفعونها كمنحة شهرية للطلاب, وقد أدت هذه المسألة بشكل طبيعي إلى خفض نفوذ مراجع التقليد في الحوزة الذين هم أصلاً جزء من نفوذها العام بين المؤمنين والمجتمع الشيعي.

علاوة على أنه يوجد العديد من المؤسسات العلمية -البحثية في قم لا تقوم على تمويل المراجع, بل إنها ترتبط بشكل ما بالأجهزة الحكومية المختلفة, بناءً على هذا, من الآن فصاعداً لن يتمكن المراجع من إعمال نفوذهم في مؤسسة الحوزة بشكل كامل.

جيل الشباب:

ومن التحديات الأخرى التي تواجه المرجعية ظهور طبقة من رجال الدين الشباب الذين لا يعرف كثير منهم الأساليب التقليدية, هؤلاء الأفراد الذين قد أتموا بعض الدراسات الجامعية على الرغم من وفائهم لمجتمع رجال الدين ونظام الحوزة, يفكرون في تطويرها. هؤلاء النفر من الطلاب كتبوا رسالة إلي زعيم الثورة من أجل التطوير, واعتبروا أن النظام الفعلي للحوزة بشكل أعم من جهاز المرجعية أو الإدارة التي يجب أن تتم بحذر شديد, لا يمكن أن يكون ملبياً لهذا الإحساس.

ويعتقد الكثير أن هذا الجيل التالي الذي سيدخل هذه الساحة بشكل أكثر جدية هو من العوامل الهامة للتطور في الحوزة, في حين أن المرجعية بالنظر إلى ظروفها التقليدية وبالنظر للبنية التقليدية التي قلما تلين إزاء وجهات النظر المختلفة لا يمكن أن تقبل هذا التوجه.

من المؤكد أنه يوجد بين المراجع أشخاص لهم تاريخ مضيء بسبب نشاطهم الثقافي العام, لكن حتى هؤلاء أيضاً عندما يدخلون في قالب المرجعية, ينسون نشاطهم السابق ولا يذكرونه.

إلى جانب هؤلاء الشباب الذين توجهوا إلى البحث في الفقه وسائر العلوم الدينية, يجب الإشارة إلى الفقهاء العظام الذين نفضوا أيديهم من الضجة السياسية واتجهوا إلى تحديث الفقه إلى حد ما, وهؤلاء الفقهاء لا يجب أن يطلق عليهم محدثون, بل إنهم يقومون بالاستنباط في المواضع الواقعة خارج الفقه المتداول, وتحظى آراء هذا النوع من المراجع بمكانة خاصة بين الجيل الجديد, وإذا لم يخرج هؤلاء المراجع عن حد الاعتدال ويتحركوا بشكل أكثر هدوءاً ودقة في إطار الفقه التقليدي, فمن المحتمل أن يحصلوا على مكانة أفضل في المستقبل القريب.

إن التوقعات الجديدة التي ينتظرها مجتمع الشباب من المرجعية لا تتناسب مع جهود المرجعية في إطار القوالب القديمة التي تحافظ على القوى التقليدية والأشخاص الذين هم فوق سن الأربعين, هذا العمل يحتاج إلى التخطيط الجديد بالاستفادة من الفرص المتاحة في هذا الزمان, وهناك إمكانية لطرحها وهي ليست أمنية بعيدة عن التحقيق, لكنها في المقام الأول تحتاج إلى مرونة.

تسهيل الفتاوى:

يستغل البعض من مراجع التقليد نفوذه بين مواطنيه, ويحدث تسهيلاً في فتاواهم الجديدة لزيادة الأتباع.

إن مسألة تقليد الأعلم هي من الصعوبات التي قلما تم التغلب عليها بسنبة 100% في العصور الماضية, حتى في عصرنا, من المؤكد أنه عندما يزداد عدد المراجع, ويرون أنهم الأعلم, يتضح مدى الفوضى التي تحدث, وربما تمكنت شهادة العدول من العلماء من حل هذه المشكلة.

من المؤكد أن هناك أشخاصاً مثل المرحوم آية الله المرعشي لم يكونوا يؤمنون بمبدأ تقليد الأعلم, لكن الآخرين وبشكل خاص الذين يعتبرون أنفسهم آية الله العظمى –أي الأكبر من الآخرين- يختلقون

الراصد

مشكلة صعبة لحل مسألة الاجتهاد والتقليد بشكل نهائي, وفي هـذه الأثنـاء لم تتمكن عملية التقسيم في الاجتهاد من إحراز أي نجاح. بالإضافة إلى أن هـذا الأمر هو مصدر كثـير من الصـعوبات الـتي تـؤدي إلى عـدم اسـتقرار الوضع الراهن.

إن المواجهة غير المباشرة من جانب بعض العائلات التي تتمتع بنفـوذ تقليـدي ملحـوظ على الـرغم من أنها لا يمكن أن تصل إلى نـوع المعارضة السياسـية المنظمة للحكومة مع النظـام الـولائي هي الأمر الـذي يخلق العديد من الصعوبات المحتملـة, وقد اتخذ كثـير من هـذه العـائلات موقفـاً ضد ولاية آية الله منتظـري, لكن فيما بعد عـزل آية الله منتظـري, قـامت أسرته –على اعتبار أنها أسـرة أحد المراجـع- مسـتفيدة من نفس الأدوات الـتي كـانت لها فيما مضى بمواجهة ضد النظـام. من المؤكد أن هـذه المعارضة تختلف عن معارضة بعض العـائلات الأخـرى التقليديـة, ولهـذا السبب لم يشهد أي نوع من التضامن فيما بينهم.

تحديات المرجعية في العالم الشيعي والعلاقات الدولية:

يرجع أحد التحـديات الأساسـية إلى الحـدود الجغرافيـة-السياسـية الكائنـة, وعلى الـرغم من أنها لا تمثل صـعوبة خاصة للمرجعية الدينية في مجـال وظائفها التقليديـة, لكنها تعد مانعـاً كبـيراً في العلاقة بين المرجعية الولائية والزعامة.

من الواضح أن الشـيعة يعيشـون في أنحـاء العـالم كأقليـات, وليست لهم القدرة على ممارسة نفوذ سياسي في تلك البلاد الـتي يقيمـون فيهـا. بناءً على هذا يتوجهون نحو الأشخاص القريـبين منهم, ومن ثم يسـتطيعون حل مشكلاتهم.

وحتى لو كان هذا المقلد متبعـاً للمرجعية الولائية الإيرانيـة, فإنه يجب عليه أن يرجع إلى ممثليها في الدولة, ومن المؤكد أن كثيرين يفضلون هذا الخيار, وتتميز لبنان بشكل أساسي بهذه السمة.

هنـاك مشـكلة أخـرى وهي الاختلاف العـرقي بين الشـيعة من ناحيـة, ومراجع التقليد من ناحية أخرى, وبالنظر إلى التاريخ السياسي للحكومات, الـتي تعـاقبت على حكم إيـران والعـراق, فقد كـانت سـبباً في نشـوب الصراعات بينهم, وقد تصـاعدت حـدة هـذه الأزمة في عهد الشـاه وزعامة حزب البعث.

ومن المؤكد أنه لم يكن هنـاك أي نـزاع أو تنـافس بين قم والنجـف, لكن الـدعايا الـتي كـان يروجها حـزب البعث وسـلوكياته في التعامل مع المرجعية وتقسـيم الشـيعة إلى عـرب وعجم كـان له تـأثيره البـالغ على مسألة المرجعية, فقد حاول العراق أن يختار مرجعـاً عربيـاً للشـيعة, وفي المستقبل ستكون هـذه المسـألة مشـكلة صـعبة. وسـيزيد من حـدة هـذه المشكلة انتشار الدعايا التي تروج للأفكار القومية, ومع هذا فإن التعـاطف الموجـود بين الشـيعة على اعتبـار أنهم أقلية بالنسـبة لإجمـالي العـالم الإسلامي من الممكن أن يلعب دوراً مهماً في خلق التحالف والتوافق بين الشيعة العرب والعجم.

الراصد

الأميركان يعقدون الأمل على الشيعة:

إن طـرح مسـألة العـراق كقضـية دولية ووقوعها في بـؤرة القضـايا السياسية العالمية سيجر قدم المرجعية, فربما لم يحـدث في أي وقت أن تحدثت وسـائل الإعلام الغربية عن المرجعية الشـيعية بهـذا الشـكل الـذي نشـاهده الآن ولا يجب إغفـال أن مجمل القضـايا المرتبطة بأهل السـنة المناهضين للولايات المتحدة قد خلقت تصوراً مفاده أن الشيعة كانوا على مدى العقد الماضي يتحركون بشكل أكـثر هـدوءاً, وأن هـذا الأمر قد يجعل الأمريكيين يعقدون الأمل على الشيعة. ومن الطبيعي أن يقيم الأمريكيـون هذه القضايا في إطار مصـالحهم القومية وأن يحـاولوا الوصـول إلى نقطة يلتقي فيها السنة والشيعة حتى يحصلوا على الامتيازات التي يسعون لها.

تناقض المرجعية في العراق:

وربما كـان هـذا هو السـيناريو المحتمـل, فقد قبل سـيد عبد المجيد الخوئي وعدد آخر من صـغار زعمـاء الشـيعة المقيمين في لنـدن التحـالف بشـكل ما مع الولايـات المتحـدة. ومن المؤكد أنه مع اغتيـال الخـوئي فقد ذهب أمل الولايـــات المتحـــدة وبريطانيا مع أدراج الريـــاح, ولكن لا زال الأمريكيون في العراق عاجزين عن التعلق بقشة.

لكن ثمة نقطة إيجابية في صـالح الأمريكـيين, فلم يقم مراجع التقليد في النجف أو العـائلات الموجـودة في العتبـات المقدسة بأية إجـراءات معارضة لهم.

وبهذا الشكل أصبحت المرجعية الدينية في العراق في مأزق, فأمامها من ناحية, تجربة مراجع التقليد على مدى المائة عام الأخيرة الذين قاوموا الاعتداء الأجنبي, ومن ناحية أخرى, هنـاك الخـوف من العـودة إلى حكومة البعث "التي من المؤكد أنها أصبحت أثراً بعيداً, ولكنها بالنسـبة للعراقـيين تمثل كابوساً" وكذلك أيضاً فإن عدم وجود الثقة في تشكيل حكومة شيعية قد هيأ السبيل لبديل آخر. إن هذه القضية ترجع إلى نظـرتهم إلى القضـايا الدولية ويتوقف على مدى فهمهم للعالم الراهن وعلاقاتهم القائمة, وماهية المكانة التي يريدونها لأنفسهم وسط هذا الخضم.

الظروف الدولية المهيئة للمد الشيعي:

ولا يجب إغفال أن التشيع يعيش في الظـروف الراهنة مرحلة ثرية إذ لم تتوافر له مثل هـذه الفرصة قبل ذلـك, والواقع أنه بعد هجـوم الولايـات المتحدة على تنظيم القاعدة والقيـود الـتي أصبحت مفروضة على الحركة الوهابية والدعايا السعودية في العالم الإسلامي, وكذلك أيضاً الشعبية التي حققها حزب الله بالنسـبة للتشـيع, قد خلقت المجـالات المناسـبة لانتشـار المد الدعائي الشـيعي. كما أن المسـألة العراقية تمثل هي الأخـرى فرصة لإظهـار مـدى ما يتحمله الشـيعة من ظلم ومعانـاة, ولأن تتعـرف شـعوب العالم على المرجعية الشيعية وعادات وتقاليد المذاهب.

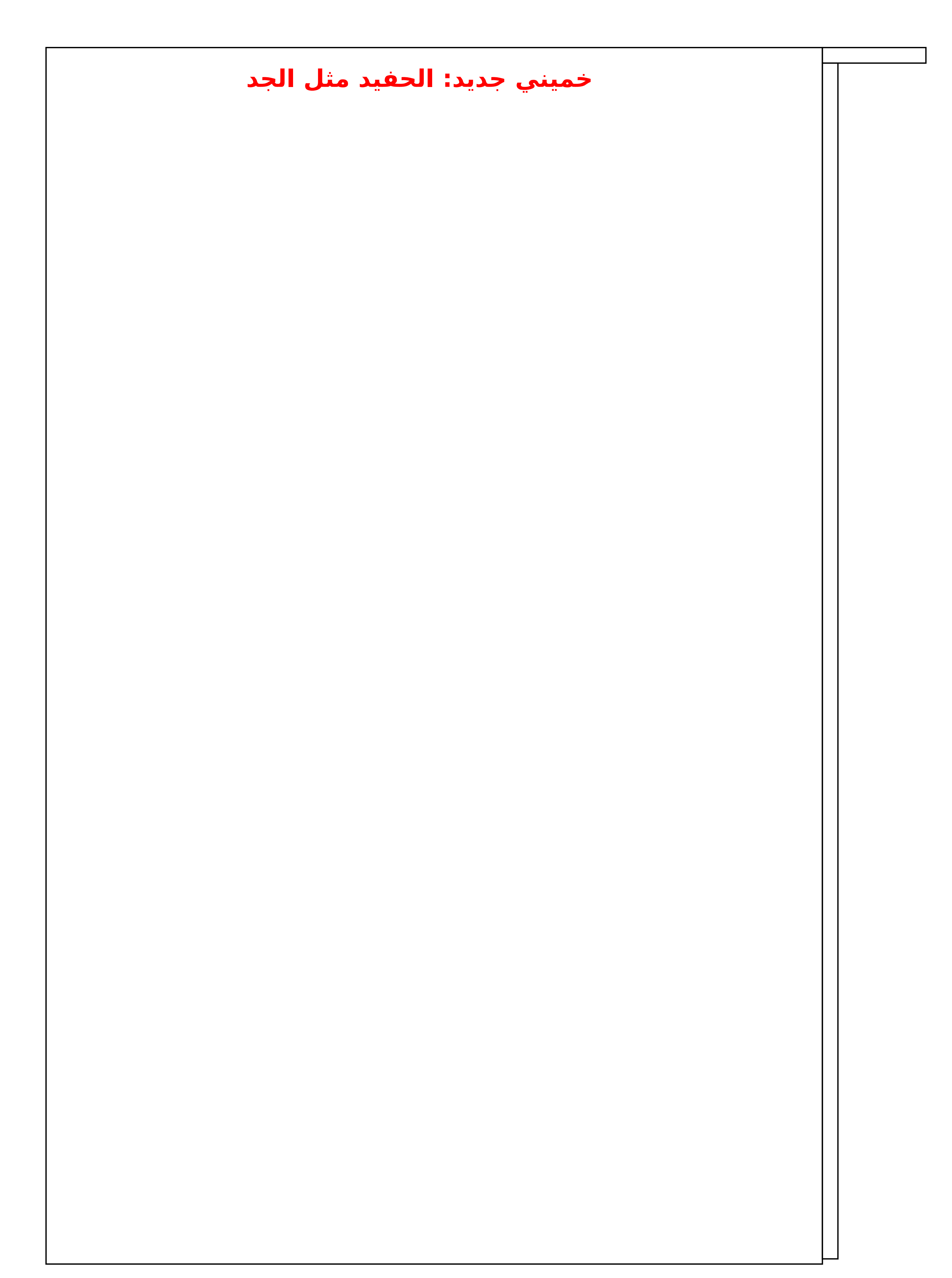
هل سيسـتغل الأمريكيـون هـذه الفرصة لبث الفرقة بين الشـيعة والسـنة؟ وإذا كـان الأمر كـذلك فما هو الحل حـتى يمكن اسـتغلال هـذه الفرصة في نشر المذهب الشيعي والحيلولة دون وقوع نزاع شيعي سني؟

وقد تبلورت تجارب مفيدة جداً بعد الثورة الإسلامية في خلق الوحـدة فهل ستتم الاستفادة من هذه التجارب؟

إننا في العالم المعاصر لا نشاهد فقط صراعاً بين الحضـارات, بل إننا نشاهد أيضاً صراعاً بين الأديان والمذاهب, وستترك هـذه الأزمة إن عـاجلاً أو آجلاً عواقب على العالم. لكن رسالة المرجعية الشيعية تتطلب ألا نقف عند حد الخلافـات بل يجب أن نعمل على تفعيل العلاقـات الإيجابية الـتي تؤدي في الـوقت نفسه إلى شـعبية أكـثر للشـيعة ورواج أفضل عن طريق الآليات الثقافية.

الراص

خميني جديد: الحفيد مثل الجد



أمير طاهري [1]

هناك ساكن جديد للقصر الفخم ببغداد الذي كان ذات يوم منزلاً لعزت إبراهيم أحد أتباع صدام حسين المقربين, إنه حسين موسوي الخميني أحد الملالي متوسطي المكانة, 45 عاماً, وقد قدم حسين إلى بغداد قبل أسبوعين فقط, ومنذ ذلك الحين صار الصحافيون الغربيون يصطفون صفوفاً لكي يحصلوا على مقابلة مع القادم الجديد الذي قال إنه قدم إلى بغداد ليستجدي الولايات المتحدة كي "تحرر" إيران بالقوة إن لزم الأمر.

بالطبع, هناك في إيران أعداد كبيرة من الملالي, ووفقاً لآخر إحصاء نشر عام 1988 فإن هناك نحو 300 ألف من الملالي في الجمهورية الإسلامية, مما يجعل إيران أكثر مجتمع يعج برجال الدين في التاريخ المعاصر بعد الكبت في ظل الدالاي لاما. والملالي الإيرانيون يوجدون بوفرة, بكل شكل وحجم, ويعبرون عن العديد من الآراء المختلفة التي توجد في المجتمع العريض.

إذن لماذا جذب رجل الدين المحدد هذا الانتباه؟

الإجابة هي أن حسين الخميني هو حفيد الراحل آية الله روح الله موسوي خميني الذي بصعوده على موجة الثورة عام 1978ـ 1979 برز بوصفه رجل الدين الأول الذي يحكم إيران.

لقد أظهر آية الله الخميني استيلاءه على السلطة كحدث يمثل "إحياء الإسلام", وذلك من بين دعاوى أخرى عديدة, لكن حفيده قال إن إيران اليوم هي بمثابة سجن كبير وأن ثورة جده لم تجلب سوى "المآسي" للشعب الإيراني.

في مقابلة مع صحيفة (الغارديان) اللندنية دعا حسين خميني الولايات المتحدة لإرسال قواتها لتحرير إيران, وفي مقابلة أخرى قال لصحيفة (جيروسليم بوست) إن الولايات المتحدة كانت "جالبة للحرية في العالم المعاصر" وبوصفها هذا فإن عليها واجباً أخلاقياً بـ "حماية الشعب الإيراني الذي يتعرض للمعاناة" بنفس القدر الذي أنقذت به شعوب أفغانستان والعراق.

وقد استقبلت ملاحظات حسين خميني بخليط من الصدمة والفزع في الغرب, لكن, نظر إليها في إيران وفقاً لفلسفة آية الله الخميني.

في الثمانينات قضيت أربع سنوات أعمل على السيرة الذاتية للخميني.

هناك ملمحان أساسيان في شخصية خميني جذبا انتباهي.

الأول: هو رفضه لمفهوم الوطنية, فقد زعمت أسرته أن له دماً عربياً ممتداً إلى موسى بن جعفر, الإمام السابع عند الشيعة الإثني عشرية.

---

[1] (?) الشرق الأوسط 15/8/2003

الراصد

الراصد

جـزء من العائلة أمضى عشـرات السـنين في كشـمير ومن ثم فـإن الاسم العائلي الأصلي للخميني هو "هندي" (غير روح الله الخميـني اسـمه العائلي عام 1930, لكن شقيقه الأصغر احتفظ به).

عندما وطأت قدما آية الله الخميني مطار مهرباد في طهران, بعد 16 عامـاً في المنفى في تركيا والعـراق وفرنسـا, في فـبراير 1979 سـأله مراسل صـحافي فرنسي كـان قد صـحبه على متن طـائرة الخطـوط الفرنسية عن شعوره عند عودته للوطن؟ أجاب روح الله قائلاً "لا شيء".

بالنسـبة للخميـني فـإن إيـران ليست سـوى قطعة أرض, أما ما يهمه فهو ما إذا كان سيستطيع أن يحكمها أم لا.

منذ أن ذهب روح الله الخميـني إلى المنفى عـام 1964 ظل يسـعى لكسب الـدعم الأجنـبي لحملته ضد الشـاه, وفي عـام 1965 كتب إلى الدكتاتور المصري جمال عبد الناصر يطلب منه تزويده بالمال والسـلاح لـ "تحرير إيران", وفيما بعد بعث بابنه الأكبر مصطفى, والد حسين إلى لبنان لإقامة صـلة مع الفلسـطينيين هنـاك, وقد أنشأ مصـطفى علاقة مع ياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية الذي درب وسلح العشـرات من رجال حرب العصابات المعادية للشاه.

وفي عام 1977 أرسل الخميني ابنه الثاني أحمد إلى ليبيا سـعياً وراء المال والـدعم من العقيد معمر القـذافي, وفي نفس العـام أقـام صـلة مع الاستخبارات الفرنسية من خلال عميل تنكر في شخصية صحافي.

وحينما انتقل روح الله الخميـني إلى بـاريس التقى سـراً بـاثنين من المبعـوثين الأميركـيين. وفي آخر أطـوار الثـورة لعب روح الله الخميـني الورقة الأميركية ببراعـة, وقد ضـمت الحكومة الأولى الـتي تـرأس مجلس وزرائها مهدي بازرجان خمسة من حاملي الجنسية الأميركيـة, أما الـرجلان اللـذان كلفهما بإنشـاء الحـرس الجمهـوري الإسـلامي, إبـراهيم يـازدي ومصـطفى تشـامران, فكلاهما حاصل على الجنسـية الأميركيـة, في ذلك الوقت (تخلى يازدي عن جنسيته الأميركية).

لم يكن روح الله الخميـني يمـانع في تـدخل أي قـوة أو منظمة في إيـــران ما دامت تناسب طموحاته ولم يتبن روح الله الخميــــني اللهجة المعادية للأميركـيين حـتى نهاية عـام 1970 عنـدما وعي أنه سيكتسح من جانب اليسار الراديكالي.

أما الملمح **الثـاني** من شخصـية روح الله الخميـني فهو إيمانه بـأن الغايات تبرر الوسائل.

ففي عام 1970 أقام تحالفاً مع تيمور بختيار وهو جنرال سابق هارب كان في وقت من الأوقات رئيساً لجهاز السافاك, الشرطة السرية للشاه, ودكتـور رادمـانيش وهو عميل لجهـاز (كي جي بي) كـان يقـود حـزب تـودا الشيوعي في المنفى. وقد أظهر "الحلف الثلاثي" الذي تم التفـاوض حوله في النجف أن روح الله الخميني كان مسـتعداً للتحـالف مع الشـيطان من أجل الوصول إلى أهدافه.

وفيما بعد وسع تحالفه لضم منظمة مجاهـــــــــــدي خلق الإرهابية ومنظمات فدائي الشـعب الماركسـية-اللينينيـة. ومنذ عـام 1977 وما تلاه أمر بحرق دور السينما والمكتبات ومدارس الطالبات والمقاهي والمطاعم وغيرها من "أماكن الفحشاء" في إيران لتصعيد الإرهاب.

في إحدى الحوادث في سينما ريكس في عبدان احترق 400 شـخص أحياء بعد أن أشعل الخمينيون النار وأغلقوا المنافذ.

وبعد أن تسلم السلطة أمر بالإعدامات الجماعية التي كثيراً ما كـانت تتم بعد محاكمـات صـورية. ومـزق روح الله الخميـني الشـعار الوطـني الإيــراني مع أنه كــان يحمل رمز علي بن أبي طــالب أول أئمة الشــيعة واسـتبدله بشـعار يشـبه الحـرف أوميقا اليونـاني الـذي هو من علامـات الجمعيـات السـرية الفيثاغورثيـة. إن الغاية دائمـاً تـبرر الوسـائل, والغاية بالنسبة للخميني كانت هي تأسيس حكمه الطغياني والمحافظة عليه.

ولتمكين قاعدته في إيــــران اســــتورد روح الله الخميــــني آلاف المتشددين العرب من لبنان وإيران ومنحهم هويـات تجنس إيرانيـة, وكـان هـؤلاء الإيرانيـون الجـدد مسـتعدين للكـذب والخـداع والقتل لحماية نظـام أعطاهم حياة جديدة ومنافع جديدة.

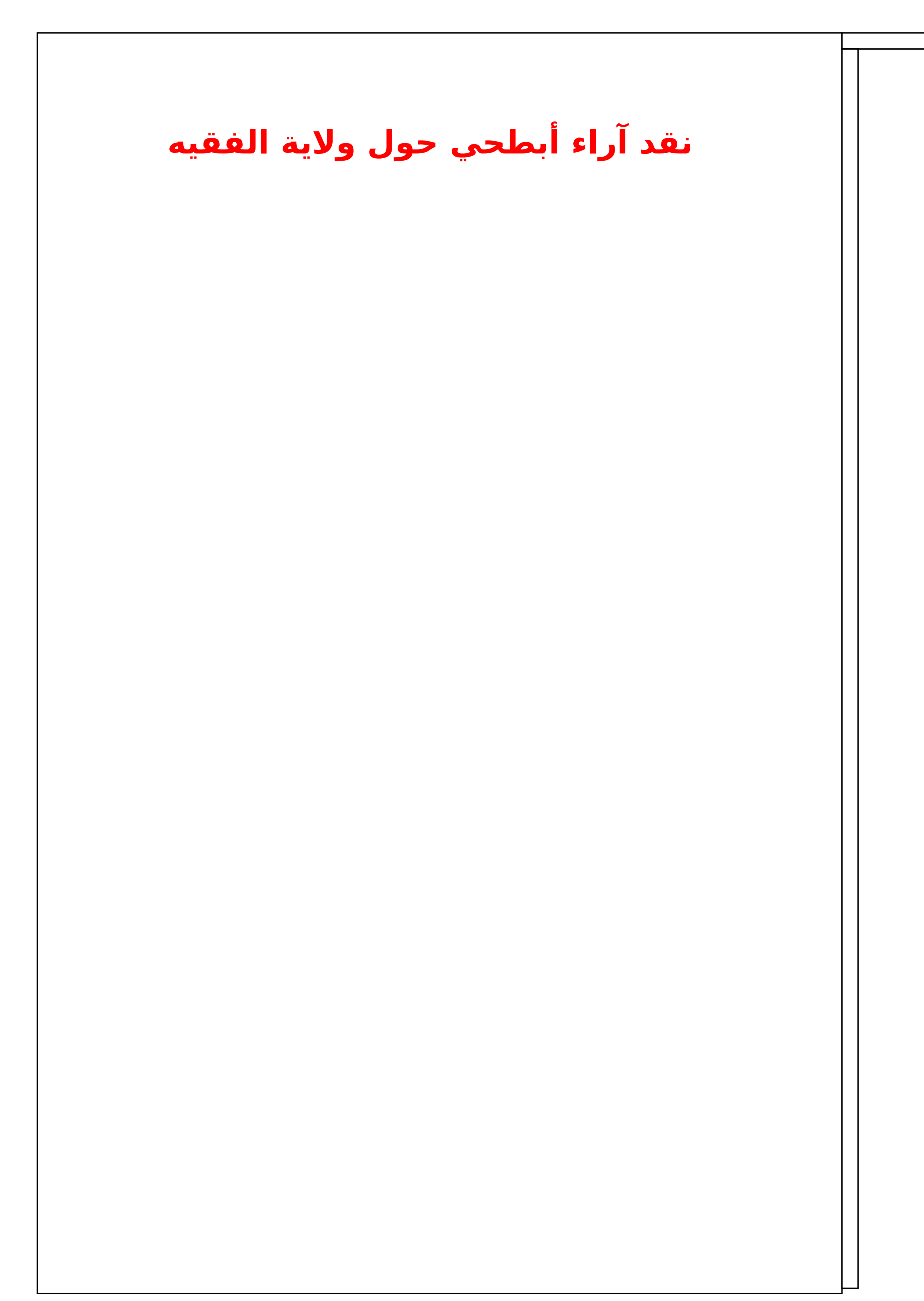
والآن فلنعد إلى الخميني الأصغر: إن حسين يتصـرف مثل جـده, وهو لا يهتم إذا كان سيعيش في إيران أو العراق الذي قضى فيه 14 عامـاً من طفولته وشبابه المبكر. لقد عاش في إيران في فيلا كـانت تتبع لأحد وزراء الشاه السابقين, غلام رضا كيامبور. وفي بغداد يعيش في قصر كان مـنزلاً لأحد كبـار مسـاعدي صـدام, لقد كـان روح الله الخميـني أيضـاً يعيش في أنـواع مختلفة من المسـاكن المصـادرة وهو مثـال حـذا حـذوه كل أفـراد عشيرته الممتدة.

إن حسين, مثل جده, يدعو القوى الأجنبية خصوصاً الولايات المتحـدة لـ "تحرير إيران", ومن ثم وضعه في السلطة.

لكن الإيرانيين تعلموا من المأساة على امتداد 25 عاماً, إنهم يدركون أن الحلول لمشاكل إيران يجب أن تأتي من داخل إيران, وهم يعلمــون أن الغاية لا تبرر الوسيلة لكنها تتحدد بها.

وبعيــــداً عن حســــين الخميــــني وســــكان العواصم الكــــبرى (الكوزموبوليتــيين) أمثاله فليس ثمة إيــراني يــود أن يــرى بلاده يغزوها الأمــيركيون أو أي جيش آخر حـتى لو كـان ذلك يعـني التخلص من نظـام الطغيان الفاشل. وأهم من ذلك ليس هناك إيراني يرغب في خميني آخــر, فكارثة واحدة مثل هذه تكفي لآلاف السنين.

الراص



نقد آراء أبطحي حول ولاية الفقيه

برويز إسماعيلي[1]

تشن إحدى الصحف الإيرانية المتشددة (الإختيار) هجوماً عنيفاً على مستشار ومساعد الرئيس خاتمي الذي ينتمي إلى تيار آخر, لأنه اعتبر أن نظرية "ولاية الفقيه" المبتدعة لم تكن من أولويات مرشد إيران السابق الخميني, وتدافع هذه الصحيفة من خلال مقال لبرويز إسماعيلي عن هذه النظرية, وتهاجم كل من ينتقدها بل تهاجم أبطحي لأنه قال فقط بأن ولاية الفقيه لم تكن من أولويات الخميني, وهذا يسلط الضوء على بداية حدوث تغيرات جذرية في الفكر السياسي الشيعي المعاصر ولكن بأي اتجاه ؟ لا أحد يعلمه.........المحرّر.

أجرى محمد علي أبطحي مستشار رئيس الجمهورية حواراً صحفياً مع إحدى الصحف حول مؤسسة ولاية الفقيه وحدود سلطاتها.

ونظراً لأن سيادته قد عمد في حديثه وفي عرض آرائه إلى عقد مقارنة بينه وبين رؤية الإمام الخميني لولاية الفقيه من جانب, وبسبب الاختلاف الحقيقي بينه وبين الإمام الخميني لصالح الإمام من جانب آخر تلزم الإشارة إلى مقتطفات وأجزاء من كلامه والرد عليها.

يقول أبطحي: " إن ما أتذكره عند بداية الثورة أن الإمام الخميني لم يكن مصراً على هذا الأمر, أي أن الدستور الأول الذي كان قد وضع وأصر عليه الإمام لم يكن قد أدرجت فيه " ولاية الفقيه " لتطرح في الاستفتاء, والمؤكد أن ذلك لا يعني أن الإمام كان معارضاً لولاية الفقيه, ولكن أعتقد أنها لم تكن من الالتزامات الأولية القطعية بالنسبة له. إن نظرية ولاية الفقيه المطلقة تتبنى عنصر المصلحة,فإذا كان في شيء ما مصلحة للشعب فلا بد أن يكون هذا الشيء موافقاً للدين ولكن ليس من الضروري أن يطابق الفقه أو أن يتطابق معه ".

وقد كان من الأفضل أن يرتوي أصدقاء وأحباب الإمام من نبع كلامه وأحاديثه وفقهه وذلك من أجل رد الإجحاف والظلم الذي نشر حول مؤسس الثورة الإسلامية. ويمكن الرد على حديث أبطحي فيما يلي:

أ-معروف أن آخر 10 سنوات من عمر الإمام والتي شهدت تأسيس الجمهورية الإسلامية كانت تمثل نتيجة كفاح نصف قرن على الأقل للإمام, وعلى الأشخاص العاديين – على اختلاف آرائهم – ألا يظهروا آراءهم أو يعلنوها – تجاه الأسس النظرية لفكر الإمام بشأن النظام الإسلامي لأن هذا الفكر يعود أساسه إلى 4 عقود ماضية, أي في بداية الستينات من القرن العشرين في الوقت الذي كان جناب السيد أبطحي يعيش فيه أيام الطفولة, ففي ذلك الوقت كان الإمام الخميني يطرح نظرية " ولاية الفقيه " بوصفها النظرية الرئيسية للحكومة الإسلامية حتى أن حضرته قدّم لنا كتابه العظيم " ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية " عندما كان في النجف الأشرف.

الراصد

[1] (?) ((مختارات ايرانية , العدد 32 – 2003)) نقلاً عن : صحيفة انتخاب (الاختيار) 9/1/2003

واستناداً لهذا, وكذلك لما سوف يرد بعد ذلك بشكل مختصر, فإن إصرار الإمام على ولاية الفقيه – لم يكن موضع اهتمام منه عند قيام الثورة فحسب, ولكن ظهر ذلك بوضوح قبل الثورة بعقود طويلة, وانطلاقاً من هذا يكون نفي الشيء الذي لا نتذكره جيداً والذي لا نبذل الهمة الكافية للتحقق منه, مثل هذا الأمر والسلوك يكون نفيه غير منصف وغير عقلي, فنقول – دون تذكر أو تحقق – إن ولاية الفقيه لم تكن قطعية بالنسبة للإمام؟!

ب-السيد أبطحي لا نعرف من أين وكيف أتى وجاء بقوله وبسلوكه وادعائه القائل بأن الإمام لم يكن مصراً على ولاية الفقيه وهو يعلم جيداً – طالما أن له ذاكرة وحافظة قوية وشابة – أنه وفقاً للوثائق الموجودة بالفعل – وليس الذاكرة – واستناداً عليها فإن المحور الأصلي لمواقف الإمام هو إصراره على تثبيت وترسيخ دور ولاية الفقيه في الجمهورية الاسلامية وذلك على مدار العامين الأول والثاني من عمر الثورة, هذا من جانب, ومن جانب آخر فإن 95% من البحوث والدراسات الفقهية النظرية للإمام في شأن ولاية الفقيه قد كتبها خلال عامي 1978 و 1979 أي في ذروة الثورة الإسلامية.

ج-يقول السيد أبطحي: إن تصور ولاية الفقيه من وجهة نظر الإمام كان وليد الساعة, بمعنى أن ذلك قد ارتبط وتزامن مع الثورة وبعدها وهو ما يعني أنها حديثة العهد.

في حين أن الإمام يقول: " إن ولاية الفقيه لا تعد شيئاً استحدثه مجلس الخبراء, بل هي الولاية التي قد وضعها الله تبارك وتعالى والتي خص بها رسوله (صحيفة الإمام ج/10-ص 308).

ويستمر حضرة الإمام في حديثه فيقول مؤكداً على الأمر نفسه: " إن هذا الشكل والتوصيف الذي ورد في الدستور بشأن ولاية الفقيه كان موجوداً منذ الأزل وحتى الآن منذ عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولكن الأشخاص غير المطلعين على الفقه وغير المطلعين على مجريات الأمور يشوهون الأذهان بهذا الكلام الذي يتحدثونه ". (المرجع السابق – ص 352) كما يقول أيضاً: " إن ولاية الفقيه تعد هبة إلهية للمسلمين منحها الله تبارك وتعالى لهم ". وقد أكد في 8/2/1980 على أن الولي الفقيه هو خليفة الرسول والأئمة حتى يظهر الإمام الغائب. (صحيفة الإمام ج/11-ص22).

د-إن حضرة الإمام مع تأكيده الصريح بأن " أولئك الذين يعددون الصور لولاية الفقيه لا يفهمون ما هو الإسلام " وهو ما جعله يعتبر أن رضا شاه كان أسوأ من أي شخص بالنسبة للإسلام (صحيفة الإمام ج/10-ص 308) ولهذا كان يردد ويقول دوماً: " إلهي نجِّني من الأصدقاء الجاهلين " (صحيفة الإمام ج/10-ص 221).

إن الغافلين والمنافقين يتحدثون عن " ولاية الفقيه " بتظاهر ورياء وهم يخالفون – في وجوههم – ولاية الفقيه ويعارضونها, من هنا نجد أتباع نظرية " المسجد ملك البابا والسياسة ملك القيصر " نجدهم يعتبرون أن الحكومة الإسلامية خطر عليهم, (المرجع السابق, ص70).

ولهذا نجد الإمام مصراً على أن يوصي الأمة الإسلامية بـأن كلام مثل هؤلاء يخالف الإسلام وأنهم يظنون أنفسهم مفكرين ولا يريـدون أن يقبلـوا بولاية الفقيه ولهذا لا يجب على المسلمين أن يهتموا بهؤلاء.

والحقيقة أن من يقولـون ويلقـون الشـبهات حـول ولاية الفقيه هم الأشخاص الذين " يخـافون من رقابة الـولي الفقيه في الشـؤون المختلفة ".

هـ-كثيراً ما كـان يحـذر وينصح حضـرة الإمـام أولئك الـذين يرفضـون ولاية الفقيه من أنهم إذا لم يتبعوها فسـوف يمحـون لأن ولاية الفقيه تابعة ونتيجة للإسـلام, وربما كـانت أخلد وصـايا الإمـام الـتي قالها ونصح بها منذ ذلك الوقت هي " أنه طالما ظلت أمـور وشـؤون الدولة تحت رقابة الـولي الفقيه فإن ضرراً لن يلحق بهذه الدولة " (نفس المرجع, ص221).

و-فيما يخص عنصر المصـلحة وعلى العكس مما قاله السـيد أبطحي فإن " الولي الفقيه " فقط هو الذي يبقى مفتاح المصلحة في يده.

وفي رأي الإمام فإن الولي الفقيـه, فضـلاً عن أنه لا يقـوم بـأي عمل من شأنه أن يكون على عكس مصلحة الدولة فإنه أيضـاً يسـيطر على[1] – يتصـدى لجميع الأعمـال الـتي تريد الحكومة أن تنجزها وتقـوم بها والـتي يمكن أن تكـون ضد مصـلحة الدولـة. (نفس المرجـع, ص 221) كما أن سلطة وصلاحية الولي الفقيه بشأن " مصلحة النظـام الإسـلامي " تصل – عند الإمام – إلى حد أنه يستطيع أن يعتبر الملكية المشروعة للأفراد " غير مشروعة " من باب " مصلحة النظام ".

يقول حضرة الإمام: " حتى الملكية الـتي احترمها المشـرع المقـدس والـتي نص عليها يسـتطيع الـولي الفقيه أن يعتبرها ملكية محـدودة, و أن يحد منها عندما يرى أنها في غير مصلحة المسلمين فيحـددها بإطـار معين أو أن تصدر عنه فتوى في ذلك ". (نفس المرجع, ص 481).

ز-وعلى عكس وجهة نظر السـيد أبطحي الـذي ادعى وجـود إبهامـات وغموض بشأن نظريات واعتقادات الإمام حول كيفية ظهـور " ولاية الفقيه " في الدستور, يجب القول بـأن حضـرة الإمـام لا يـرى أي شـيء يضـاهي ولاية الفقه في أي موضع وذلك إذا ما قـورن الدسـتور الإيـراني بالدسـاتير الغربية.

لقد كان يتحدث سيادته مع " حامد الغار " الكاتب الأمـريكي المسـلم حول الحكومة في الإسلام فقال له: " إن وجـود ولاية الفقيه في الدسـتور هو ضـمان لعـدم ظهـور الديكتاتوريـة, وأن أفضل مـادة في الدسـتور هي المادة المرتبطة بولاية الفقيه ".

وما دام الأمر هكـذا, فليس معلومـاً كيف ولمـاذا عمد مسـاعد رئيس الجمهورية إلى التشكيك في عقيدة الإمام بشأن ولاية الفقيه, على الـرغم من أن الإمام قد تحدث حول سلطات وصلاحيات " الـولي الفقيه " بشـكل صريح فقال: "في هذا الدستور (دستور إيران) لو أن هنـاك موضـوعاً فيه نقص ما وله مكانة وقداسة روحية في الاسلام وقصّـر بشـأنه أولئك الـذين

---

[1](?) هكذا في الأصل .

عملوا واجتهدوا, لو وجد مثل هذا النقص الذي يتضمنه الدستور فإن ما ورد في الدستور بشأن ولاية الفقيه يعد بعضاً من شؤون ولاية الفقيه وليس كل شؤونها " (نفس المرجع, ص464).

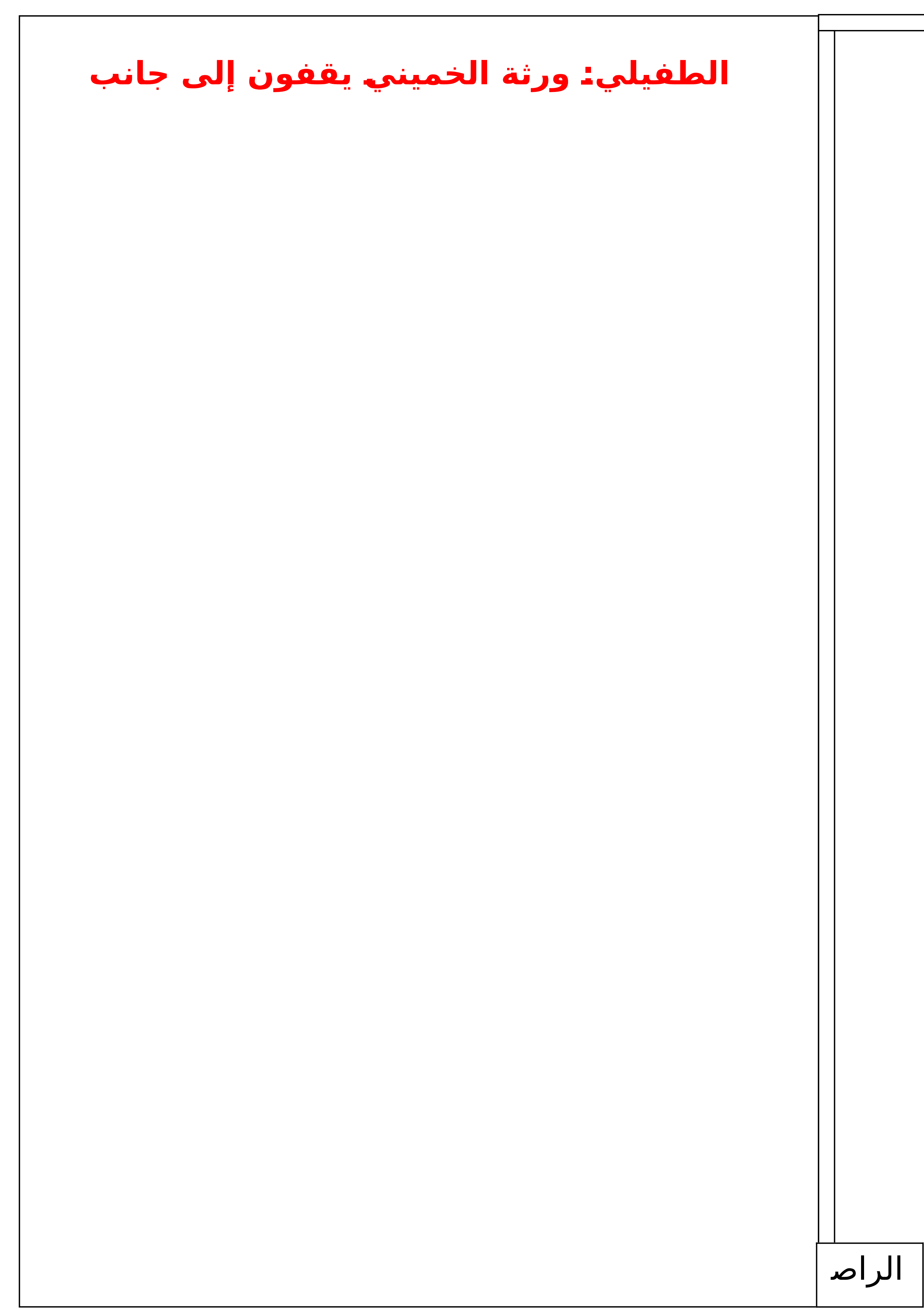
ولهذا كله, فإن الأثر العظيم الذي ظل محكماً والذي خلفه لنا ذلك الرجل الكبير (الإمام الخميني) هو أن ولاية الفقيه وإدارتها لشؤون الدولة من المبادئ الأولية والبديهية (صحيفة الإمام ج/20-ص457) وأن " ولاية الفقيه" تطبق على جميع شؤون الأمة والدولة ولا يجب أن يخرج شيء عن إطارها ". (صحيفة الإمام – ج/10 – ص 308).

ح-أخيراً يجب القول بأن الإمام أوصى الأمة بألا تنتخب لشؤون الحكومة والمجلس سوى أولئك المخلصين والأوفياء للمادة / 110 من الدستور [1]

---

[1] (?) تنص المادة /110 من الدستور على الآتي :
وظائف القائد وصلاحياته :
1-وضع السياسات العامة لنظام جمهورية إيران الإسلامية بعد التشاور مع مجمع تشخيص مصلحة النظام .
2-الإشراف على حسن إجراء السياسات العامة للنظام .
3-إصدار الأمر بإجراء الاستفتاء العام .
4-تولي القيادة العامة للقوات المسلحة .
5-إعلان حالة الحرب والسلام والتعبئة العامة .
6-نصب وعزل وقبول استقالة كل من :
أ) فقهاء مجلس صيانة الدستور .
ب) أعلى مسؤول في السلطة القضائية .
ج) رئيس مؤسسة الإذاعة والتليفزيون في جمهورية إيران الإسلامية .
د) رئيس أركان القيادة المشتركة .
هـ) القائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية .
و) القيادات العليا للقوات المسلحة وقوى الأمن الداخلي .
7-البت في الخلافات وتنظيم العلاقة بين السلطات الثلاث .
8-حل مشكلات النظام التي لا يمكن حلها بالطرق العادية من خلال مجمع تشخيص مصلحة النظام .
9-إصدار قرار تنصيب رئيس الجمهورية بعد انتخابه من قبل الشعب , أما بالنسبة لصلاحية المرشحين لرئاسة الجمهورية من حيث توافر الشروط المعينة في هذا الدستور فيجب أن تحصل قبل الانتخابات على موافقة مجلس صيانة الدستور وفي الدورة الأولى يجب أن تحصل على موافقة القيادة .
10-عزل رئيس الجمهورية مع مراعاة مصالح البلاد وذلك بعد صدور حكم المحكمة العليا بتخلفه عن أداء وظائفه القانونية أو بعد رأي مجلس الشورى الإسلامي بعدم كفاءته السياسية على أساس المادة 89 .
11-العفو أو تخفيف عقوبات المحكوم عليهم في إطار المبادئ الإسلامية بعد اقتراح رئيس السلطة القضائية, ويستطيع القائد أن يوكل شخصاً آخر لأداء بعض وظائفه وصلاحياته .

الراص
الراص



الطفيلي: ورثة الخميني يقفون إلى جانب
الراص

سارقي المال العام[1]

نشـرت صـحيفة الشـرق الأوسط في عـددها الصـادر بتـاريخ 25/9/2003 مقابلة مع أحد المؤسسـين لحـزب الله عـام 1982 وانتخب عام 1989 كأول أمين عام للحزب واستمر في موقعه حتى عام 1991.

وقد كشف فيها صـبحي الطفيلي أمـوراً خطـيرة جـداً عن حقيقة دور حزب الله حالياً.

والذي جعله يتحدث بهذه الحقـائق هو الصـراع الـداخلي في المـذهب الشيعي أولاً، وعدم التبعية الكاملة لإيـران وأيضـاً هو بـدافع الحـرص على الشيعة من مغبة السياسات الإيرانية التى بدأت تظهر للناس، وهـذا يـدخل في قوله تعالى (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى).

وسوف نورد أهم الحقائق التي كشفها في المقابلة دون تعليق منا.

**فـوجئت بورثة الخميـني (حـزب اللـه) يقفـون الى جـانب سـارقي المـال العـام ونـاهبي ثـروات الدولة والمعتـدين على الشـعب ضد شـعبنا وأمهـات الشـهداء والفقـراء. وذلك بذريعة أن دعم المقاومة لا يجعلهم قـادرين على الخـوض في المواضـيع الاقتصـادية والحياتيـة. وهـذا منطق سـخيف، والأسـخف منه أن لا مقاومة الآن. فـأين نصـرة الضـعيف والمسـحوق؟ وللمفارقة أن بعض المسـؤولين الإيرانـيين - في مواجهة حركتي - وعدوا بأن لديهم مشاريع ستنفذ خلال ستة أشهر وستغير أوضـاع المنطقة بشكل كبير، لكن السنوات مرت وهذه المشاريع لم تبصر النور.

**لقد بـدأت نهاية هـذه المقاومة مذ دخلت قيادتها في صـفقات كتفاهم يوليو (تموز) 1994 وتفاهم إبريل (نيسان) 1996الذي أسبغ حماية على المستوطنات الإسرائيلية وذلك بموافقة وزير خارجية إيران.

**كما أن العمليات الفولكلورية الـتي تحصل بين حين وآخر لا جـدوى منها لأن الإسرائيلي مرتـاح، وهل هنـاك فـرق بين الإسـرائيلي في مـزارع شـبعا وال÷سـرائيلي في الأراضي الفلسـطينية المحتلـة؟ هـذا اعـتراف بالاحتلال، أنا أرى أن الخيام (بلدة حدودية لبنانية) هي مثل عكا وحيفـا. وما يؤلمني أن المقاومة الـتي عاهـدني شـبابها على المـوت في سـبيل تحرير الأراضي العربية المحتلـة، تقف الآن حـارس حـدود للمسـتوطنات الإسرائيلية، ومن يحاول القيـام بـأي عمل ضد الإسـرائيليين يلقـون القبض عليه ويسام أنواع التعذيب في السجون.

**أي سجون؟

ـ لقد حدثت أكـثر من حالـة، وقد سـلم الـذين قـاموا بمحـاولاتهم إلى السلطات اللبنانية التي أخضعتهم للتحقيق والتصنيف.

---

[1] (?) الشرق الأوسط 25/9/2003.

*وأنا أوجه كلامي إلى أبنـائي في المقاومة لأقـول لهم أن ما تفعلونه حـرام وخدمة للعـدو وخيانة للقضـية. القـوا سـلاحكم وارحلـوا أو تمـردوا وأطلقوا النار على عدوكم ولا تجعلوا أحداً يخدعكم تحت عنـوان أي فتـوى أو ولاية فقيه، فلا فقيه في الدنيا يأمرني بـأن أخـدم عـدوي. أنا آسف كيف أن المقاومة الــتي صــنعناها بــدماء شــهدائنا تختطف وتحــول إلى خدمة أعدائنا.

**لكن بعد التحــول الــذي حصل في الموقف من المقاومة وتحــول إيـــران إلى منسق للشـــؤون الأميركية في المنطقة رأيت أن أخـــرج عن صمتي.

**إن هناك سياسة في إيران بـدأت تـبرز بعد رحيل الإمـام الخميـني، وكان واضحاً ان هذه السياسة ستصطدم بفهمنا للإسلام.

**من يقـول في لبنـان أن إيـران لا تتـدخل كـاذب. القـرار ليس في بيروت وإنما في طهران.

**نعم، حتى خلال ولايتي كان لـ(القيادة) المركزية في إيـــران موقعها في القرار.

**القـرى والمـدن الشـيعية في جنـوب لبنـان اسـتقبلت الإسـرائيلي بالورود والأرز جراء بعض الممارسات التي قامت بها فصائل فلسطينية.

**حـتى أن أحد كبـار خطبـاء الجمعة في العاصـمة الإيرانية قـال في خطبة صـلاة الجمعة أنه لـولا إيـران لغـرقت أميركا في وحل أفغانسـتان. فالإيرانيون سهلوا للأميركيين دخول أفغانستان ويسهلون بقـاءهم الآن. أما القول عن اعتقال سـفير سـابق هنا أو حـديث عن سـلاح نـووي هنـاك فهو يدخل من باب السعي الاميركي لتحسين شروط التعاون الإيراني. التشـيع يستخدم الآن في إيران لدعم المشروع الإميركي في أفغانستان. ومن هنا أقول لكل الشيعة في العالم أن ما يجري باسـمهم لا علاقة له بهم. وهـذه أعمال المتضرر الأكبر منها الإسلام والتشيع.

ـ ولد الشـيخ صـبحي ملحم الطفيلي في بلـدة بريتـال (جنـوب مدينة بعلبك) في نهاية العام 1947.

ـ درس الفقه في العراق من أوائل الستينات إلى أواسط الســبعينات عنـدما خـرج هربـاً من العـراق بسـبب ملاحقة النظـام العـراقي له بتهمة الانتماء إلى حزب الدعوة.

ـ مكث فترة في لبنان وعاد إلى إيران لمتابعة الدرس والتـدريس في حـوزات قم، حـتى انتصـار الخمينـيين على نظـام الشـاه حيث شـارك في التحركات المناهضة لهذا النظام وتعرض للاستجواب والتوقيف.

ـ عاد الى لبنـان نهائيـاً عـام 1979 وسـاهم عـام 1982 في تأسـيس "حزب الله" وكان أبرز أعضاء مجلس الشورى الذي كان يقود الحزب.

ـ عام1989 انتخب كأول أمين عام للحزب واسـتمر في موقعه حـتى العام 1991 عندما خرج من الحزب.

ـ عـام 1997 أطلق "ثـورة الجيـاع" احتجاجـاً على تـردي الأوضـاع الاقتصادية والحياتية في البقاع. وأنشأ مجلسـاً للأعيـان (يـوازي البرلمـان) وهدّد بمنع الوزراء والنواب من زيارة المنطقة.

ـ عام 1998 اعتصم وأنصاره في حوزة دينية تابعة لـ"حزب الله" في بلـدة عين بورضـاي (جنـوب بعلبك), وانتهى الأمر بمعركة قتل فيها ضـابط في الجيش وبعض أنصار الطفيلي، لتبدأ الملاحقة القضائية بحقه.

الراص

التجمعات الشيعية في العالم العربي

البحرين

مقدمة

يستحق الوجود الشيعي في العالم العـربي, وفي دول الخليج العـربي على وجه أخص, أن نفــرد له مســاحة كبــيرة, وتخصص له الدراســات والأبحاث, خاصة وأنّ هذا الوجود يكتنفه الغموض, وتثـور حوله التسـاؤلات, ويتم استغلاله استغلالاً سـيئاً من أجل الإسـاءة إلى أهل السـنة وإقصـائهم من الحياة السياسية والاجتماعية كما حدث في العراق مؤخراً.

ولعلّ ما جرى في العراق من تضخيم لنسبة الشـيعة هنـاك, والهجـوم المتعمد على السنة وتصويرهم بأنهم أنصـار صـدام, وتحميلهم وزر جـرائم صدام حسين قد مهّد لأن يقوم الشيعة وبالتعـاون مع الأمريكـان بـالانقلاب على أهل السـنة وتهميشـهم, وإعطـائهم ما لا يناسب عـددهم من المقاعد الوزارية والتواجد في الحكم, كل ذلك كـان يتم اسـتناداً إلى أسس خاطئة وتضخيم للوجود الشيعي, وتقليل لعدد السـنة هنـاك, وهو ما جعلنا نخصص دراسة مستقلة بعنوان "الشيعة والعراق", تم نشـرها في العـدد الأول من "الراصد", تناولت الوجود الشيعي هنـاك, وأصـوله, وفنّـدت قضـية الأكثرية الشــيعية, الــتي قــام البعض برفعها في خيــالاتهم إلى 80%, وأوهمــوا البسطاء بها, حتى غدت في أنظار الكثيرين كالحقائق المسلم بها.

وفي هـذا العـدد نفتح ملفـاً آخـر, نخصصه لدولة خليجية صـغيرة في مساحتها, كبيرة في أحداثها, حيث يلعب الوجود الشيعي في دولة البحـرين دوراً خطـيراً في رسم الأحـداث الـتي تـدور في هـذه الجزيـرة, فقد لعبت قضية "الأكثرية" الشـيعية في البحـرين دوراً في أعمـال العنف والتخـريب الـتي طالتها من قبل الشـيعة, وبلغت حـدَّ المطالبة بإلغـاء النظـام الملكي واقتفــاء النمــوذج الإيــراني, كل ذلك تم بفعل انتشــار مقولة "الأكثريــة" وترويجها لأغراض سياسـية واضـحة, وهو الأمر الـذي نحن بصـدد مناقشـته ودراسـته حيث أننا سـنتطرق إلى الوجـود الشـيعي في البحــرين وكيفية دخول التشيع إليها, والهيئات والتيارات الشيعية العاملة هناك, وعلاقة هــذه التجمعـات بـإيران, وأثر العلاقـات البحرينية الإيرانية على شـيعة البحـرين, وستشــمل سلســلة "التجمعــات الشــيعية" دولاً خليجية وعربية أخــرى كـالكويت والسـعودية واليمن ولبنـان..., وفيها نعـرض تواجـدهم والاختلاف الذي طرأ على أحوالهم وصعودهم المستمر ونظرتهم إلى بلدانهم.

الراصد

لمحة تاريخية:

في قديم الزمان, كان يطلق على البلاد الواقعة على الساحل الغربي للخليج العــربي كلها اسم "البحـــرين", أو بـــالأحرى المنطقة الواقعة بين مسقط والبصرة, ثم اختزل الاسم, وصار مقصوراً اليوم على تلك الجزيرة الرابضة في قلب الخليج العربي, وقد كانت فيما سبق تسمى "أوال", وهو صـنم لبكر بن وائل وأخيه تغلب, فسـميت الجزيـرة باسم صـنم أوال, لأن بني وائل مع عبد قيس كانوا يسكنونها في ذلك الزمان.

وقد كـانت البحـرين, أي البلاد الـتي على السـاحل من البصـرة إلى مسـقط مسـتعمرة فارسـية قبل الإسـلام وفي السـنين الأولى من البعثة النبوية, فقد بسطوا نفوذهم عليها سنة 615م ولكنّ حكامها كانوا غالباً من أمراء العرب, وكـان سـكانها من المجـوس واليهـود والنصـارى ومن عـرب نجد, وأكثر هؤلاء من عبد قيس ووائل وتميم.

وفي السنة الثامنة للهجـرة, أرسل النـبي صـلى الله عليه وسـلم أحد أصحابه الكرام وهو العلاء بن الحضرمي ليدعو أهل هذه البلاد إلى الإسلام, ودخل في دين الله خلق كثـير, إلا أنهم ارتـدوا بعد وفـاة النـبي صـلى الله عليه وسـلم, فـانطلق العلاء الحضـرمي والجـارود بن عبد القيس لتـأديب المرتدين وانضم إليهما خالد بن الوليد رضي الله عنه, وعادت بلاد البحرين إلى الإسلام.

وأما هـذه الجزيـرة فقد دالت للخلفـاء الراشـدين ثم لبـني أمية ومن بعدهم لبني العباس, ولكنها لم تخلص من الاغتصابات, ومن هؤلاء الخوارج وصاحب الزنج والقرامطة وغيرهم.

ونظـراً لموقعها الممـيز, وأهميتها لخطـوط الملاحة وانتشـار الزراعة وصيد اللؤلؤ, فقد تسابق إليها الفاتحون في قديم الزمان[1].

وفي العصـور الحديثـة, سـيطر العمـانيون والبرتغـاليون عليها ويعـود سـبب الوجـود الاسـتعماري الغـربي في هـذه المنطقة إلى الاتفاقيـات المشبوهة الـتي عقـدتها الدولة الصـفوية الشـيعية مع الـدول الاسـتعمارية وعلى رأسـها البرتغـال وأسـبانيا والمجر والبندقية من أجل القضـاء على الدولة العثمانية, ووقف فتوحاتها في أوروبا, وقد كان عهد الدولة الصـفوية بشهادة الجميع هو عهد إدخـال قـوى الاسـتعمار في المنطقة حيث مهّـدت لها الطريق, وفي نفس الوقت أعاقت فتوحـات العثمـانيين, وشـغلتهم عن مهامهم الكبرى[2].

كـانت الدولة الصـفوية الشـيعية الـتي حكمت إيـران بـدءاً من سـنة 906هـــــ (1500م) يقلقها أن تــــرى دولة الخلافة العثمانية منطلقة في فتوحاتها شـرقاً وغربـاً لنشر الإسـلام وتوسـيع رقعتـه, فبـدأت بمناوشة العثمـــانيين واســـتفزازهم, وتوجيه الطعنـــات لهم من الخلـــف, وحياكة المؤامرات, وخاصة في عهد الشاه إسماعيل الصـفوي, ونشب القتـال بين العثمانيين والصفويين في موقعه جالديران سـنة 1514م, وانتهت المعركة بهزيمة نكـراء للصـفويين, إلا أنها لم تنه الوجـود الصـفوي, فأخذ الشـاه إسماعيل الصفوي يقيم العلاقـات مع الـدول الغربية من أجل القضـاء على العثمـانيين, وتمت بينه وبين البـوكرك, الحـاكم البرتغـالي في الهند اتفاقية نصّت على أربع نقاط:

1-تصاحب قوة بحرية برتغالية حملة إيران على البحرين والقطيف.

2-تتعـاون البرتغـال مع إيـران في إخمـاد حركـات "التمـرد" في بلوشستان ومكران.

3-تتحد الدولتان في مواجهة الدولة العثمانية.

4-تصرف حكومة إيران (الصـفوية) النظر عن جزيـرة هرمـز, وتوافق على أن يبقى حاكمها تابعاً للبرتغال, وأن لا تتدخل في أمورها الداخلية[3].

ونتج عن ذلك أن احتل البرتغـاليون البحـرين من سـنة 1521م إلى سـنة 1602م, ثم اسـتولى عليها بعد ذلك الإيرانيـون الفـرس وحكموها بشكل متقطع حتى سنة 1783 عندما تمكن عرب عتبة من طرد الإيرانيين منهـا, وعائلة آل خليفة الحاكمة تنحـدر من قبيلة عتبـة, وقد دخلـوا في اتفاقيات حماية مع بريطانيا حتى إعلان الاستقلال سنة 1971[4].

سكان البحرين:

دأب الشـيعة على رفع نسـبتهم في جميع البلـدان الـتي يقيمـون فيها لأسباب سياسـية لا تخفى على أحـد, ومن تلك الـدول البحـرين الـتي بـالغ البعض بالقول بأن الشيعة العرب منهم ذوي الأصول الإيرانية يشـكلون 60 إلى 65% من إجمالي السكان!

---

[1] (?) أمين الريحاني, ملوك العرب, الجزء الثاني ص720 وما بعدها. و د. عبد الله الغريب, وجاء دور المجوس ص 301-302

[2] (?) أبو الحسن علوي عطرجي, الصفويون والدولة العثمانية, ص48.

وقد جاء في تقرير مركز ابن خلدون حـول الأقليـات لسـنة 1993 أن سكان البحرين ينقسمون إلى ثلاث مجموعات:

العرب الشيعة ونسبتهم 45% من مجمـوع السـكان, والعـرب السـنة ونسبتهم كذلك 45% أما الإيرانيون 8%, وثلثهم سنة والثلثان من الشـيعة, وبذلك يصل الشيعة العرب والإيرانيون إلى حوالي 52%, أما السنة العرب والإيرانيون البلوش فنسبتهم 48%[1].

إلا أن تقرير ابن خلدون ذاته الصـادر سـنة 1999[2]– قـام برفع نسـبة الشـيعة في البحـرين إلى 70%, وهي نسـبة غـير واقعية ومنافيه للواقع السـكاني في البحـرين, ولم يـذكر التقرير الأسس الـتي اسـتند عليها لرفع نسبة الشيعة من 52% إلى 70% خلال 6 سنوات, على الـرغم من أنه لم يحصل ما يـدعو إلى ارتفـاع النسـبة بهـذا الشـكل وخلال هـذه الفـترة القصـيرة, سـوى ما عـزاه التقرير إلى أن الشـيعة معظمهم ريفيـون يكـثر عندهم الإنجاب وتعدد الزوجات. بالرغم من صحة هذا الأمر الذي يتم بدعم وتشجيع القيادات الطائفية مع التكفل بالمصاريف اللازمة وذلك من أمـوال الخمس!

والأمر يدعو للغرابة أيضاً إذا علمنا أن المركز قام بالشيء نفسه عند تناول قضية الشيعة في العراق[3].

وقد نقل د. خالد العـــزي في كتابـــه: "الخليج العـــربي في ماضـــيه وحاضـــره" نـــداءً وجّهته صـــحيفة السياسة الكويتية في 5/12/1971 إلى شعوب وحكومات الدول العربية إلى اتخاذ كافة السبل لردع خطر التسلل الإيـراني في الأرض العربيـة, وقـالت الصـحيفة بـأن المتسـللين يشـكلون طـابوراً خامسـاً ينبغي التقليل من أهمية خطـره خاصة بعد احتلال الجـزر العربية (الإماراتية), وصفت خطر التسلل الإيراني بأنه لا يقل خطـورة عن التسلل الصهيوني الـذي يعتـبر أحد أسـباب ضـياع فلسـطين واغتصـابها[4], وقبل ذلك كـــان مجلس الجامعة العربيـــة, وفي دورته الحادية والأربعين 31/3/1964 بحث موضوع الهجرة الأجنبية إلى إمـارات الخليج وطلب من الدول المعنية تقييدها والتبصر بالأخطار التي تواجهها[5].

إذاً لا يخفى أن زيادة عـدد الشـيعة في الخليج عامة والبحـرين خاصة كـان بسـبب الهجـرة الإيرانية المتزايـدة إلى بلـدان الخليج أثنـاء الحكم البريطاني, في ظل غفلة أهلها وتساهل شـيوخ الخليج, بل إن بعض الـذين زاروا البحـرين أو كتبـوا عنها في بـدايات هـذا القـرن يـذكرون صـراحة أن الوجود الشيعي هو وجـود أجنـبي, يقـول أمين الريحـاني في كتابه "ملـوك العرب" الصادر سنة 1924 ص721 ما يلي: وهي (البحـرين) على صـغرها عـامرة بمئـتي ألف من العـرب والأعـاجم من الشـرق والغـرب, بيد أنها لا تـزال عربية الأصل والحكم, عربية اللغة والـروح, لأن أكـثر سـكانها من العـرب الأصـليين, عـرب نجـد, وفيهم من المـذاهب الإسـلامية المـالكي والشافعي والحنبلي والجعفري, أما الجعفريون فهم مثل الهنود يعدون من الأجانب لأنهم إيرانيون أو إيرانيو التبعية.

(?) [3] المصدر السابق ص49.
(?) [4] وجاء دور المجوس ص301-302.
(?) [1] ص302.

الراصد

وقد جاءت نتائج الانتخابات البلدية والنيابية سنة 2002, وحصول الشيعة في الأولى على 23 مقعداً من 50 وعلى 13 مقعداً من أصل 40 مقعداً في الثانية, لتعطي صورة تقريبية عن حجم الشيعة في البحرين, فإذا كان حصولهم على أقل من ثلث مقاعد المجلس النيابي بسبب مقاطعة بعض تنظيماتهم للانتخابات يبدو مفهوماً بعض الشيء, فإن حصولهم على أقل من نصف مقاعد البلديات في الانتخابات التي شارك فيها جميع قطاعاتهم تبطل نظرية الأغلبية الكاسحة أو المطلقة.

العلاقات البحرينية الإيرانية وأثرها على شيعة البحرين

عند الحديث عن علاقات البحرين بإيران وأثرها على شيعة البحرين نقف عند حقيقتين هامتين هما:

1-أن إيران بعد ثورة الخميني سنة 1979 أصبحت قبلة الشيعة في العالم, ووضعت نفسها وصيّة على الطوائف الشيعية في كل مكان, وكذلك الطوائف الشيعية جعلت من إيران نموذجها وقدوتها, وهذا لا يمنع وجود تيارات وهيئات شيعية تعادي إيران أو لا تعترف بولايتها لأسباب ترجع للتنافس على الزعامة مع الخميني بالدرجة الأولى, وهذا هو أيضاً سبب انشقاق مجاهدي خلق على الثورة الخمينية وغيرها من التيارات والشخصيات الشيعية, ولم تكن المشاعر الشيعية تجاه إيران محصورة بدولة الخميني, إنما كانت الدولة الصفوية التي حكمت إيران بدءاً من سنة 906هـ (1500)م تمارس الدور ذاته.

2-أن الجاليات الشيعية في العالم وفي دول الخليج خاصة تتأثر سلباً وإيجاباً بعلاقات بلدانهم مع إيران, خاصة وأن هذه الجاليات تستخدم من قبل إيران لتنفيذ مخططاتها في هذا البلد أو ذاك.

ولقد كانت العلاقات الإيرانية البحرينية مثالاً للتوتر والشكوك في معظم فتراتها, بسبب أطماع إيران في هذه الجزيرة واعتبارها جزءاً من أراضيها, وعدم الاعتراف بجوازات السفر التي كانت تصدرها البحرين, واعتبارها إحدى المحافظات الإيرانية..., بل واحتسابها من إرث مملكة فارس التي ورثتها إيران اليوم.

ولا يقتصر النهج العدائي هذا على جزيرة البحرين, بل قامت إيران باحتلال ثلاث جزر تتبع دولة الإمارات العربية المتحدة هي طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى, سنة 1971 وسنة 1992, وما زالت إيران تحتلها حتى اليوم وترفض التخلي عنها.

ولعلّ تصريح رئيس وزراء إيران سنة 1944 حاجي ميرزا أغاسي ما يوضح حقيقة النظرة الإيرانية إلى الخليج فيقول: ((إن الشعور السائد لدى جميع الحكومات الفارسية المتعاقبة بأن (الخليج الفارسي) من بداية شط

---

[2] (?) ص 195.

[3] (?) انظر التفاصيل في بحث "الشيعة والعراق" المنشور في العدد الأول من (الراصد).

[4] (?) ص243.

[5] (?) الخليج العربي دراسة موجزة ص61.

العـرب إلى مسـقط بجميع جزائـره وموانيه بـدون اسـتثناء وبـدون منـازع ينتمي إلى فارس))[1].

وهذا خلاف ما يذكره المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون فيقــول: "إن البحرين كانت مرتبطة مصيرياً بالإحساء, فهي لا تبعد أكثر من 24كم, بينما يتجاوز بعدها عن إيران 200كم"[2].

وقد حكم الإيرانيون البحرين بشكل متقطع من سنة 1601 إلى سـنة 1783 عنـدما تمكن آل خليفة من طـردهم من بلادهم, والحكم الصـفوي يشكل مرحلة من مراحل الأطماع الإيرانية في هذه الجزيـرة, وقد سـارت إيران في عهد البهلويين على المنوال نفسـه, فقد كـان شـاه إيـران محمد رضا بهلوي دائم التهديد للبحرين, ويعتبرها جزيرة إيرانية, وقد هـدّد بضـمها إلى بلاده, إلا أن بريطانيا الـتي كـانت تحتل البحـرين آنـذاك سـاهمت في وقف المخطط الإيـراني, مقابل غض الطـرف عن اسـتيلاء إيـران للجـزر الإماراتية الثلاث, إلى أن جاء الاستفتاء الشهير سنة 1971, والـذي أيّد فيه معظم البحرينيين الاستقلال.

ومع قدوم ثورة الخميني سنة 1979, تبنت إيران مبدأ تصدير الثـورة, وهو أن تنشر مذهبها وفكرها بالقوة, واصطدمت بـالعراق ودخلت معه في حرب مـدمرة اسـتمرت 8 سـنوات, وأما دول الخليج العربية فقد نالها من الأذى والتخريب الإيراني الشيء الكثير, وكان الخميني يقـول: ((إن العـرب حكموا المسلمين وكذلك الأتـراك وحـتى الأكـراد, فلمـاذا لا يحكم الفـرس وهم أعمق تاريخاً وحضارة من كل هؤلاء؟))[3].

وفي بداية الثورة الإيرانية انقسم شيعة البحرين إلى قسمين:

الأول: صغير محافظ, كان يطالب ببعض الإصلاحات وتحسـين أوضـاع الشيعة.

الآخر: كبير, كان يطالب بالإطاحة بالنظـام الملكي وتشـكيل جمهورية تسير على النهج الإيراني[4].

ويذكر ريتشارد دكمجيان أن شيعة البحرين بسبب أصـلهم الفارسي[5] أحسوا بشيء من الغربة في البحـرين, وفي نفس الـوقت آثـروا الاقـتراب من إيران, وقد حاول الخميني –خلافاً لجهـود الشـاه في ضم البحـرين- أن يثـــور الشـــيعة للقضـــاء على آل خليفـــة, وكـــانت الأداة الرئيسة "الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين", وكـان من قادتها هـادي المدرسي الـذي أبعدته السـلطات البحرينيــة, وبعد إبعـاده اشـتغل ببث التطـرف وسط شـيعة البحرين واتهم بأن له دوراً في محاولة انقلاب سنة 1981[6].

والشيعة في البحرين يفتخرون بأنهم وقفوا مع استقلال البحرين سنة 1971, ويذكرون هذا دليلاً على ولائهم لبلادهم وعـدم تبعيتهم لإيـران, كما جاء في مقابلة مع المعارض البحريني الشـيعي عبد الوهـاب حسـين[7], إلا أن ذلك الحماس للبقاء مع البحرين, كان الدافع إليه هو الصراع القائم بين

[1] (?) وجاء دور المجوس ص302.
[2] (?) نقلاً عن كتاب (الخليج العربي دراسة موجزة) ص51.
[3] (?) انظر مقال: خطط الشيعة لحكم قطر, الوطن العربي 26/7/2002.
[4] (?) مجلة مختارات إيرانية , فبراير 2003 ص91.

الراص

رجال الـدين الشـيعة والشـاه, والعـداء المتبـادل فمن غـير المعقـول لـدى الشيعة آنذاك أن يطالبوا بإلحـاق البحـرين إلى إيـران الشـاه وهم يسـعون في الـوقت نفسه إلى إزاحتـه, فقد كـان الاسـتفتاء في أيـام الشـاه, وقبل قدوم ثـورة الخميـني بثمـان سـنوات, وهي الثـورة الـتي رآها الشـيعة في مختلف أنحـاء العـالم النمـوذج والقـدوة, وسـرعان ما أثـارت هـذه الثـورة الشجون في نفوس شيعة الخليج, وفي شيعة البحرين على وجه الخصوص وأثارت فيهم الرغبة بالتبعية للوطن الذي صار قبلة لشيعة العـالم, وتجسّـد ذلك في أعمال العنف والتخريب التي مارسها شـيعة الخليج طيلة سـنوات الثمانينـات وجـزءاً من عقد التسـعينيات, حيث بـاتت أعلام إيـران وصـور قادتها خميـني وخـامنئي وأعلام حـزب الله اللبنـاني التـابع لإيـران مشـهداً مألوفاً في أنشطة وتظاهرات شيعة البحرين.

وكـانت المعارضة الشـيعية قد بـدأت في تنظيم صـفوفها في وقت مبكر, خاصة عقب قيام الثورة الإيرانية سنة 1979 ونشرها لفكرة تصـدير الثورة, حيث تشكلت أولى حركات المعارضة الشيعية في البحرين "الجبهة الإسـلامية لتحرير البحـرين" في سـبتمبر (أيلـول) من العـام نفسـه, ثم تشـكلت بعـدها كل من "حركة أحـرار البحـرين الإسـلامية" الـتي تتخذ من لندن مقرّاً لهـا, و"حـزب اللـه-البحـرين" الـذي كـانت السـلطات البحرينية تنظر إليه بوصفه تنظيماً سياسـياً شـيعياً تابعـاً لسلسـلة تنظيمـات أنصـار الثورة الإيرانية في الخارج "منظمات حزب الله"[1].

وبعد الأحـداث الدامية الـتي انـدلعت في سـنوات التسـعينات, وكـان أشدها سنة 1994 بين الشيعة والسـلطات البحرينيـة, هـدأت الأمـور سـنة 1999 مع اسـتلام الشـيخ حمد بن عيسى مقاليد السـلطة خلفـاً لوالـده عيسى بن سلمان.

ودخلت البحرين مرحلة جديدة, فتم تحسـين الأوضـاع الداخلية والعفو عن المعتقلين السياسيين وإطلاق الحريـات, وأخذ الشـيعة يسـتفيدون من الوضع الجديـــد, ومن ذلك تأسيســـهم للجمعيـــات, وهي تمـــارس العمل السياسي, حيث لا يسمح في البحرين بتشكيل الأحزاب.

وبـالرغم من تبعية الكثـير من شـيعة البحـرين لإيـران, إلا أنه جـدير بالـذكر أن هنـاك قطاعـاً هامـاً يرتبط بحكـام البحـرين ارتباطـاً كبـيراً, ولا يدينون لإيران.

المؤسسات الشيعية في البحرين:

1-جمعية الوفاق الوطني الإسلامية:

وهي امتداد ووريث لحركة أحرار البحـرين المعارضة خـارج البحـرين, ويـرأس الجمعية الشـاب علي سـلمان ونائبه هو حسن مشـيمع, وتعتـبر الجمعية التيار الرئيس في أوساط شـيعة البحـرين, وقد اعتـبرت المحـرّك

---

[5] (?) شيعة البحرين خليط من أصول عربية وفارسية وينحدر معظم العرب من الإحساء, في شرق الجزيرة العربية –المحرر-

[6] (?) الأصولية في العالم العربي, ص213 وما بعدها.

[7] (?) الوطن العربي 6/12/2002.

[1] (?) شفيق شقير – الجزيرة نت 24/10/2002.

الراصد

الأساسي لصدامات 1994-1998 مع السلطة, كما أن الجمعية كـانت هي المحرك الرئيس لمقاطعة الانتخابـات النيابية سـنة 2002 على الـرغم من أن البرلمان المنتخب كان دوماً من أبرز مطالبها.

وفي لقـاءات صـحفية, ينفي رئيس الجمعية وجـود علاقة بين الحركة الشـعبية في البحـرين, وبين النظـام القـائم في إيـران, كما أنه قـال في افتتاح المؤتمر الأول للجمعية بأنها تعمل ضمن النظام القائم في البحرين, مما يوحي بولاء شيعة البحرين لدولتهم.

وهذا ينسجم مع تحويل إيران لسياسـتها الخارجية من تصـدير الثـورة إلى الانفتاح الثقافي, والذي كان صداه لدى التجمعات الشيعية هو المناداة بالوطنية والحقوق للمواطنين المظلومين من الآخرين!

2-جمعية العمل الإسلامي:

تيار شـيعي محـدود, وتعد امتـداداً للجبهة الإسـلامية لتحرير البحـرين, ويرأسها محمد علي المحفوظ, الذي كان قد شـنّ هجومـاً على الجمعيـات السـنيّة مثل المنبـر والشـورى والأصـالة واصـفاً إيّاها بأنها تحقق النتـائج المرجوّة منها, وقد قامت الجمعية بمقاطعة الانتخابات النيابية سنة 2002.

3-جمعية الرابطة الإسلامية:

شيعية مقربة من الحكومـة, فـاز منها عضـوان في الانتخابـات النيابية الأخيرة.

4-جمعية أهل البيت:

شيعية, تم الاحتفال بافتتاح مقرها الجديد في 20/5/2003 في مدينة المحرق, من مسؤوليها عبد الله حيدر ومحمد الفردوسي, ولها موقع (أهل البيت نت).

5-جمعية الرسالة الإسلامية:

تتبع خط المدرسي والشـيرازي, وقد عقـدت في نهاية اكتـوبر سـنة 2002 المـؤتمر النسـائي الأول, واتصـلت خلاله بهـادي المدرسي وهو من مؤسس النشاطات الرسالية في البحرين منذ السبعينات, كما أنها أصدرت بياناً شديداً ضد منظمة مجاهدي خلق لاحتجازهم لفترة من الوقت المرجع الشـيعي محمد تقي المدرسي أثنـاء وجـوده في العـراق, كما أنها قـامت بحملة لجمع التبرعـات مع جمعية أهل الـبيت أثنـاء الحـرب الأمريكية على العراق.

6-جمعية التوعية الإسلامية:

يرأسها عبد الوهاب حسين, وتعتبر بمثابة الجناح الثقافي والاجتمـاعي لجمعية الوفاق, كون هذه الأخيرة أقرب ما تكون إلى حزب سياسي, كانت تعتبر امتداداً لخط "حزب الدعوة" وأغلقتها السلطات سنة 1982.

وإضافة إلى تأسيس الجمعيات وممارستها للعمل السياسي والثقافي والاجتماعي, فإن مظاهر أخرى بارزة تشير إلى ممارسة الشيعة لدور كبير في البحرين, منها:

1-تأسيس وصدور صحيفة الوسط اليومية التي يرأس تحريرها المعارض الشيعي السابق منصور الجمري, وهو نجل رجل الدين المعارض عبد الأمير الجمري.

2-المشاركة الحكومية في المناسبات الشيعية كعاشوراء والمآتم, ودعمها وتسهيل دخول المشاركين فيها من دول أخرى كإيران والعراق وسوريا.

3-عودة المعارضين الشيعة من الخارج, وممارستهم لحياتهم الاعتيادية داخل البحرين, ومنهم الجمري والعلوي وعلي سلمان.

4-القرار الحكومي بتدريس المذهب الشيعي الجعفري في المدارس, وتعيين مدرسين لذلك في مختلف المراحل.

5-تطور العلاقات بين البحرين وبعض الهيئات الشيعية في الخارج كمؤسسة الخوئي في لندن التي استطاعت تنظيم مؤتمر للتقريب بين الشيعة والسنة في البحرين في شهر سبتمبر (أيلول) 2003.

الانتخابات البلدية والنيابية:

في ظل الأجواء الانفتاحية التي شهدتها البحرين بدءاً من سنة 1999, تم في العام 2002 إجراء انتخابات المجالس البلدية في 9/5/2002, وانتخابات المجلس النيابي في 24/10/2002.

في الانتخابات البلدية حصل السنة على 27 مقعداً من أصل 50, فيما حصل الشيعة على 23 مقعداً.

وفي الانتخابات النيابية التي قاطعها جزء من الشيعة بسبب عدم أخذ الحكومة لبعض اقتراحاتهم ومنها: بعض التعديلات الدستورية التي سلبت السلطة التشريعية صلاحياتها وتعيين مجلس موازٍ للمجلس المنتخب له نفس الصلاحيات, ومنع الجمعيات من ممارسة العمل السياسي, وهذا المطلب الأخير تراجع عنه ملك البحرين وسمح للجمعيات فيما بعد بطرح مرشحين وممارسة العمل السياسي, حصل السنة على 27 مقعداً من أصل 40, فيما حصل الشيعة على 13 مقعداً, في المجلس المنتخب, أما الشق الثاني من المجلس, وهو المجلس المعيّن, فقد تمّ تعيين 38 سنيّاً وشيعياً مناصفة, فيم تم تعيين مسيحي ويهودي في المقعدين المتبقيين من أصل 40 مقعداً.

وفي الحكومة التي شكلت بعد إجراء الانتخابات النيابية, عين العديد من الشخصيات الشيعية فيها وأبرزها:

1-مجيد العلوي وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية.

2-محمد علي الستري وزيراً لشؤون البلديات, وكان قبلها مديراً للأوقاف الجعفرية.

3-خليل حسن وزيراً للصحة.

4-عبد الحسين ميرزا وهو أول وزير بحريني من أصل إيراني.

أهم المراجع

1-الأصولية في العالم العـربي...................................ريتشـارد دكمجيان.

2-وجـاء دور المجـوس... د. عبد الله الغريب.

3-ويل للعرب: مغزى التقارب الإيراني مع الغرب والعرب..........عبد المنعم شفيق.

4-أطلس الإسلام .... د.حسين مؤنس.

5-ملـــوك العـــرب..أمين الريحاني.

6-الصـــفويون والدولة العثمانيـــة............................أبو الحسن علوي عطرجي.

7-همـوم الأقليـات..........التقرير السـنوي الأول لمركز ابن خلـدون للدراسات الإنمائية

في مصر سنة

1993.

8-الملل والنِّحل والأعـراق.....التقرير السـنوي السـادس لمركز ابن خلدون سنة 1999.

9-الخليج العـــربي , دراسة مـــوجزة .... مكتب الدعاية والنشر والإعلام.

10-الخليج العـربي في ماضـيه وحاضـره .... د. خالد العزّي.

دوريات ومواقع:

1-مجلة مختارات إيرانية.

2-مجلة الوطن العربي.

3-مجلة النور.

4-الوكالة الشيعية للأنباء.

5-الجزيرة نت.

الراصد